وسائل تحقيق الطمأنينة النفسية للأطفال

التوحيد

العدد ٦٢٩ السنة الرابعة والخمسون - ربيع أول ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية • العدد ٦٢٩ السنة الرابعة والخمسون - ربيع أول ١٤٤٦ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

القول الفصل في علاقة مالك الأسهم بالشركات المساهمة

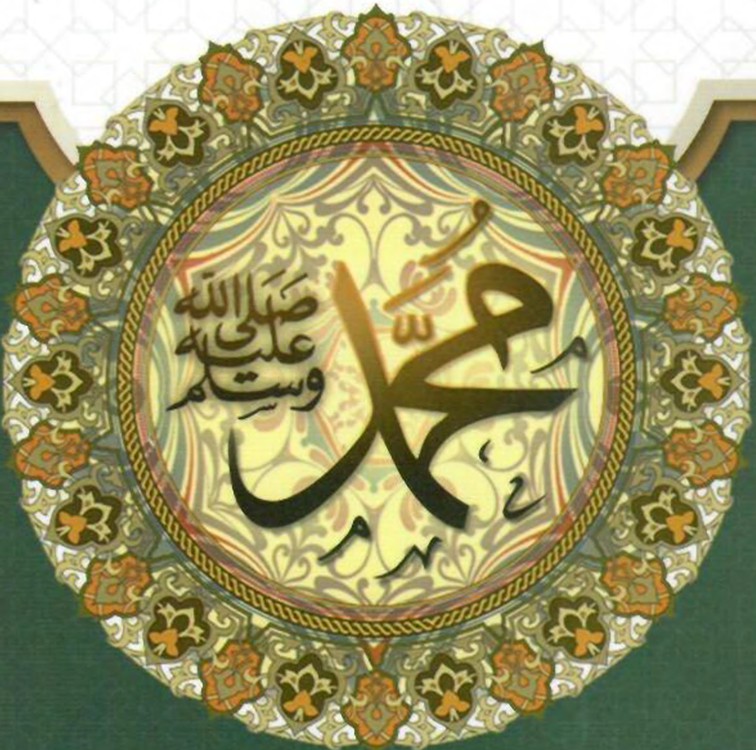

محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.

للتواصل: واتساب:
٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى بالجنيه المصري.

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبدالمجيد

السلام عليكم

التعاقد مع مندوبي تسويق وإعلانات

بهدف تطوير المجلة، وتوسيعًا لأنشطتها: تقرر إنشاء قسم جديد؛ هو: قسم التسويق والإعلانات بالمجلة.

وعليه، ترغب المجلة في التعاقد مع مندوبي تسويق وإعلانات.

ولذا نرجو ممن يجد في نفسه القدرة، ولديه خبرات في مجال التسويق والإعلان، أن يتفضل بإرسال سيرته الذاتية على الواتساب

رقم ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

سائلين الله تعالى التوفيق والسداد.

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

افتتاحية العدد الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
باب العقيدة: مبادئ علم التوحيد د. عبد الله شاكر ٨
القول الفصل في علاقة مالك الأسهم بالشركات المساهمة
د. أيمن خليل ١١
الدعاء في الصلاة د. جمال المراكبي ١٧
وسائل تحقيق الطمأنينة النفسية للأطفال د. عادل شوشة ٢٧
شمائل نبينا صلى الله عليه وسلم الشيخ صلاح نجيب الدق ٢٤
لمحة عن خصائص القرآن الكريم أ.د. محمد حامد ٢٨
واحة التوحيد د. علاء خضر ٣٢
السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم د. عبد الرحمن فودة ٣٤
محبة النبي صلى الله عليه وسلم من أصول الإيمان
د. محمد عبد العزيز ٣٦
من روائع الماضي
بدعة الاحتفال بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ٤٠
تحذير الداعية من القصص الواهية الشيخ علي حشيش ٤٥
الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال (٣)
أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي ٤٩
حديث القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم
الشيخ إبراهيم حافظ رزق ٥٣
حال النبي صلى الله عليه وسلم في بيته
الشيخ صلاح عبد الخالق ٥٦
محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فرض عين
الشيخ عبده أحمد الأقرع ٥٩
غزوة أُحد د. سيد عبد العال ٦٢

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالًا ، الإمارات ١٢ درهمًا ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالًا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ‖
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ‖
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، والصلاة والسلام على من كانت بعثته للمؤمنين منَّة، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعدُ:

فإنه كلما اقترب شهر ربيع الأول رأيت في كثير من شوارع المسلمين سرادقات الحلوى، واستعد كثير من الناس للاحتفال بذكرى المولد النبوي (كما يسمونه)، وكأنه من أعياد المسلمين، بل قد يهتم به الكثير أعظم من اهتمامهم بعيدي الفطر والأضحى، وإن سألت عن أصل مشروعية هذا الاحتفال، قالوا: حب الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن قلت لهم: وما دليلكم على مشروعية الاحتفال هذا؟ قالوا: الرسول صلى الله عليه وسلم احتفل بنفسه واحتفل بمولده، فقد كان يصوم يوم الاثنين، كما في صحيح مسلم من حديث أبي قتادة الأنصاري قال: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ».

يُقال لهم: إلى هذا الحد نحن معكم نصوم يوم الاثنين تأسيًا به صلى الله عليه وسلم، كما أننا معكم في وجوب محبته صلى الله عليه وسلم، فحبه صلى الله عليه وسلم واجب لا خلاف في ذلك، وإن حب الله ورسوله مقدَّم على كل حب، ولا يتحقق كمال الإيمان إلا بتقديم حبِّه صلى الله عليه وسلم على النفس والوالد والولد، كما

ورد في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

فكل مَن يُقدم حبًا على حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا فلينتظر ما يحل به من العذاب والنكال، قال الله تعالى: « قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ » (التوبة: ٢٤).

> لا يذوق العبد حلاوة الإيمان إلا بتقديم حب الله ورسوله على كل حب.

قال القرطبي رحمه الله: «وفي الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب، وكيف لا نحبّه صلى الله عليه وسلم وقد قال الله عنه: « لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (التوبة: ١٢٨)؛ «عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ»: يعز عليه مشقتكم، وقيل أن تدخلوا النار، «حَرِيصٌ عَلَيْكُم»، قال: أن تدخلوا الجنة.

ولا يتذوق العبد حلاوة الإيمان إلا بتقديم حب الله ورسوله على كل حب كما ورد في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْه ممَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحبُّهُ إلاَّ لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ».

والحب المأمور به في القرآن والسنة ليس بالشعارات الجوفاء التي لا يشهد لها الواقع، ويكذبها العمل، لكنّه الحبّ الذي يجعل العبد يلزم طريق الكتاب والسنة، بل إن الحب الصادق لرب العباد سبحانه دليله اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (آل عمران: ٣١)، أما المخالفة لأمره صلى الله عليه وسلم وعدم اتباع سُنته والانقياد وراء الأهواء المخالفة وعدم الانصياع لأوامره، فإن هذا لا يسمى حبًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يسمَى اتباعًا للهوى، « فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ » (القصص: ٥٠)، وإلا.. فإن أبا طالب كان من أشد الناس حبًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، غير أنه لم يستجب لدعوته، فما نفعه هذا الحب، اللهم في تخفيف العذاب الذي صار مخلدًا فيه إكرامًا لنبينا، كما فى الصحيحين من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قالَ: «هُوَ في ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلا أَنَا لَكَانَ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

ولا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم بلَّغ كل ما أُرسل به، وإن كان أصحابه-رضوان الله عليهم- هم أشد الناس حبًا له وعملاً بما جاء به، ومع ذلك لم يرد في سيرة خير القرون أنهم احتفلوا بما يُسمى بالمولد النبوي، مع وجود الداعي وهو حبهم للرسول صلى الله عليه وسلم.

وظل التابعون في خير القرون وتابعوهم هكذا، حتى جاء الروافض- المُسَمَّون بالفاطميين كذبًا وبهتانًا- ليُدخلوا في الدين ما ليس منه، بزعم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهم أبعد الناس عن حبه، وعن هديه صلى الله عليه وسلم.

إن ما يجري في الموالد عمومًا أصبح مرئيًّا ومسموعًا بعد أن فضح الله تعالى بدعهم في دنيا السماوات المفتوحة، فغالب الاحتفالات لعب ولهو واختلاط ومدح وإطراء ووصفه بكحيل العين وأحمر الخدين، وأنه نور عرش الله وأول خلق الله ولولاه ما خلق الله الخلق!!

وهذا ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، كما في الصحيح من حديث عمر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

قال ابن حجر: الإطراء: المدح، وكثير من أصحاب البدع يستدلون على بدعهم بما له أصل في دين الله، فمثلاً أصل الذكر مشروع، أما حلقاته الراقصة وكلماته المخالفة فإنها ليست من أصله، وكذلك حبّ الرسول صلى الله عليه وسلم مشروع، أما إطراؤه وسؤاله من دون الله والحلف به ووصفه بصفات تضاهي صفات الخالق؛ فإن هذا ليس من أصل الحب، بل هو البدعة بذاتها.

واليك-أخي- ما أنكره بعض الصحابة من ابتداع البعض في عمل له أصل في الدين وهو ذِكْر الله، فقد أورد الدارمي في «مسنده» قصه إنكار أبي موسى الأشعري لما رآه في المسجد وعرضه على عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، وخلاصة ذلك: أنَّ أبا موسى رأى في المسجد قَوْمًا حلَقًا جُلوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلاَةَ، في كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ وَفي أَيْدِيهِمْ حَصًى فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً. فذكر ذلك لابن مسعود رضي الله عنه فقَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ وَانْتِظَارَ أَمْرِكَ. قَالَ: أَفَلاَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ.

ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ، قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ! هَؤُلاَءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلاَلَةٍ. قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الْخَيْرَ، قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ.

ومن هذا الأثر يتبين أنَّ الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنكر مجرد عدّ التسبيح الذي لم يُقيّده صلى الله عليه وسلم بعددٍ، ورأى في ذلك مخالفة للسُّنة.

والعجيب أن هؤلاء المحدثين في الدين كانوا أول المجيبين لدعوة الخوارج، وهم من استباحوا دماء المؤمنين، بشؤم بدعتهم.

اللهم انصر السنة وأهلها، واحفظ بلاد المسلمين من كل مكروه وسوء، وردنا إلى الحق والعدل واهدنا إلى صراطك المستقيم.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

سُورَةُ السَّجْدَةِ

سورة السجدة

قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ»

(السجدة: ١٥-١٧).

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تَرَكَ اللهُ تَعَالَى الْمُجْرمينَ فِي النَّارِ يَذُوقُونَ مَسَّ سَقَر، ثم تحدث عَنْ أَوْلِيَائِه الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ مِنَ النَّعِيمِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:

«إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ»:

حقيقة الإيمان:

إِنَّ الإِيمَانَ يَقْتَضِي الْخُضُوعَ وَالانْقِيَادَ وَالاسْتِسْلاَمَ لله عز وجل، «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا» (الأحزاب: ٣٦)، وَلَقَدْ فَقِهَ الْمُؤْمِنُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فَدَانُوا لله بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَفَوْرِيَّةِ الاسْتِجَابَةِ، وَكَانُوا كَمَا وَصَفَهُمُ الله: «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (النور: ٥١)، وَكَمَا وَصَفَهُمْ هُنَا: «إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا

بها خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ»، والسُّجُودُ هُنا لَيسَ سُجُودَ التِّلاوَةِ المَشْهُورِ، فإنَّهُ مُسْتَحَبٌّ لا واجِبٌ، وإنَّما السُّجُودُ سُجُودُ الْقَلْبِ واسْتِسْلامُهُ، وخُضُوعُهُ وانْقِيادُهُ، ومُبادَرَتُهُ بالطَّاعَةِ. قالَ ابْنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: ومَعْنَى الآيَةِ: إنَّما يُصَدِّقُ بآياتِنا الَّذينَ إذا ذُكِّرُوا بها خَرُّوا سُجَّداً، أي اسْتَمَعُوا لها وأطاعُوها قَوْلاً وفِعْلاً، وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ أيْ عَنِ اتِّباعِها والانْقِيادِ لها، كَما يَفْعَلُهُ الْجَهَلَةُ مِنَ الْكَفَرَةِ الْفَجَرَةِ. (تفسير القرآن العظيم: ٤٥٩/٣).

الحث على الصلاة بين العشاءين:

قالَ تَعالَى: «تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنفِقُونَ»:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ فِي هذِهِ الآيَةِ: «تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنفِقُونَ» قالَ: كانُوا يَتَيَقَّظُونَ ما بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشاءِ يُصَلُّونَ. وَكانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: قِيامُ اللَّيْلِ. (صحيح سنن أبي داود: ١١٧٣).

وَكُلٌّ مِنَ الْقَوْلَيْنِ قَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

أَمّا قَوْلُ أَنَسٍ فَقَدْ أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَتْ لي أُمِّي: مَتَى عَهْدُكَ بالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟ قالَ: فَقُلْتُ: ما لي بِهِ عَهْدٌ مُنْذُ كَذا وَكَذا، قالَ: فَهَمَّتْ بي، فَقُلْتُ: يا أُمَّهْ، دَعِيني حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلا أَدَعُهُ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لي وَيَسْتَغْفِرَ لَكِ، قالَ: فَجِئْتُهُ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، فَلَمّا قَضَى الصَّلاةَ قامَ يُصَلِّي، فَلَمْ يَزَلْ يُصَلِّي حَتَّى صَلَّى الْعِشاءَ ثُمَّ خَرَجَ. (صحيح سنن الترمذي: ٣٧٨١).

الحث على قيام الليل:

وَعَلى قَوْلِ الْحَسَنِ فَهَذِهِ الآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعالَى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» (الذاريات: ١٥-١٨).

وَفِي الآيَتَيْنِ حَثٌّ عَلَى قِيامِ اللَّيْلِ وَتَرْغِيبٌ فِيهِ، حَيْثُ جَعَلَهُ الرَّبُّ سُبْحانَهُ عُنْوانَ الإيمانِ، وَدَليلَ الإحْسانِ، وَقَدْ رَغَّبَ فِيهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلامٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّها النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ» (صحيح سنن الترمذي: ٢٤٨٥).

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ: قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُها مِنْ بُطُونِها، وَبُطُونُها مِنْ ظُهُورِها». فَقامَ أَعْرابِيٌّ فَقالَ: لِمَنْ هِيَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: «لِمَنْ أَطابَ الْكَلامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعامَ، وَأَدامَ الصِّيامَ، وَصَلَّى للهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ» (صحيح سنن الترمذي: ١٩٨٤).

وَعَنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْماً قَرِيباً مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يا نَبِيَّ اللهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُباعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللهَ وَلا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكاةَ، وَتَصُومُ رَمَضانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ. ثُمَّ قالَ: أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ

الْخَطِيئَة، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ». ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (السجدة: ١٦، ١٧)». (صحيح سنن الترمذي: ٢٦١٦).

وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَحُثُّ الْأَزْوَاجَ عَلَى التَّعَاوُنِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ» (صحيح أبي داود: ١٣٨٠)، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهم قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ» (صحيح أبي داود: ١٣٠٩).

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَلْ هُنَاكَ أَسْبَابٌ تُعِينُ عَلَى الْقِيَامِ؟

فَالْجَوَابُ: نَعَم، الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، الْخَوْفُ مِنَ النَّارِ، وَالرَّجَاءُ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ رَبِّنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ: «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا» أَيْ خَوْفًا مِنَ النَّارِ، وَطَمَعًا فِي الْجَنَّةِ، وَكَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: «أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ» (الزمر ٩)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا» (الفرقان: ٦٥٦٦).

فَإِذَا امْتَلَأَ الْقَلْبُ خَوْفًا مِنَ النَّارِ، وَطَمَعًا فِي الْجَنَّةِ، سَهُلَ عَلَى الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلَا مِثْلَ الْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا». (صحيح سنن الترمذي: ٢٦٠١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً أَوْ نَحْوَ خَمْسِينَ سَنَةً قَالَ: كَانَ مَمْلُوكٌ لِامْرَأَةٍ، فَكَانَ يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ، فَقَالَتْ لَهُ: لَيْسَ تَدَعُنَا نَنَامُ اللَّيْلَ؟ فَقَالَ لَهَا: لَكِ النَّهَارُ وَلِي اللَّيْلُ، إِذَا ذَكَرْتُ النَّارَ طَارَ نَوْمِي، وَإِذَا ذَكَرْتُ الْجَنَّةَ طَالَ حُزْنِي. (صفة الصفوة: ٤/ ٤٣٣).

الحث على الإنفاق في سبيل الله:

وَمِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ الَّتِي يَحْرِصُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ»، وَالْإِنْفَاقُ أَعَمُّ مِنْ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ، فَهُوَ يَشْمَلُ النَّفَقَةَ عَلَى النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَالْآبَاءِ، وَالْأَقَارِبِ، وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ.

جزاؤهم عند ربهم:

قَالَ تَعَالَى فِي جَزَاءِ الْمَوْصُوفِينَ: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذُخْرًا، بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ». ثُمَّ قَرَأَ: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». (صحيح البخاري: ٤٧٨٠).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

مبادئ علم التوحيد

إعداد د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان. أما بعد: فقد تناولنا في المقال السابق حكم تعلُّم علم التوحيد، وبيَّنَّا أنه أول الواجبات وأولاها، وأفرضها على المكلفين أجمعين، وبقي أن نتكلم عن فضل علم التوحيد وثمرته؛ فنقول وبالله تعالى التوفيق:

فضل «علم التوحيد»:

(أ) فضله من جهة موضوعه:

يُقصَد بفضل علم التوحيد مزيّته وقَدْره الزائد على غيره من العلوم، وما ثبت في منزلته من فضيلة، وإذا كانت العلوم الشرعية كلها فاضلة لتعلُّقها بالوحي المطهَّر؛ فإن علم التوحيد في الذروة من هذا الفضل العميم؛ حيث حاز الشرف الكامل دون غيره من العلوم.

فمن المعلوم أن المتعلِّق يشرف بشرف المتعلَّق؛ فالتوحيد يتعلق بأشرف ذات، وأكمل موصوف، بالله الحي القيوم، المتفرد بصفات الجلال والجمال والكمال، ونعوت الكبرياء والعزة؛ لذا كان علم التوحيد أشرف العلوم موضوعًا ومعلومًا، وكيف لا يكون كذلك وموضوعه رب العالمين وصفوة خلق الله أجمعين -أي: الأنبياء والمرسلين-، ومن موضوعات علم التوحيد: مآل العباد إما إلى جحيم وإما إلى نعيم، وهذا ما نعني به السمعيات؛ ولأجل هذا سماه بعض السلف بـ«الفقه الأكبر».

وتحقيق التوحيد هو أشرف الأعمال مطلقًا؛ ففي الصحيح من حديثه صلى الله عليه وسلم: «أفضل الأعمال عند الله إيمانٌ لا شك فيه»، وسُئل النبي صلى الله عليه وسلم: «أيّ العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله»، وهو أساس دعوة رسل الله أجمعين. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-: وجميع الرسل إنما دعوا إلى «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (الفاتحة: ٥)، فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته من أولهم إلى آخرهم؛ قال تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ

إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ » (الأعراف: ٥٩)، وكذلك قال هود وصالح وشعيب وابراهيم. فقال الله تعالى: « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ » (النحل: ٣٦).

فأهم ما على العبد معرفته إذن هو التوحيد، وذلك قبل معرفة العبادات كلها حتى الصلاة؛ لأن التوحيد هو الأساس الذي تقوم عليه سائر العبادات، ولا يمكن أن يقوم الشيء إلا على أساسه؛ وبالتالي فلا بد من معرفة التوحيد أولاً.

(ب) فضله من جهة معلومه:

إن معلوم علم التوحيد هو مراد الله الشرعي الدالّ عليه وحيه وكلامه الجامع للعقائد الحقة، كالأحكام الاعتقادية المتعلقة بالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والبعث بعد الموت.

ومعلوم علم التوحيد: هو الأحكام الاعتقادية المكتسَبة من الأدلة المرضية من كتاب ينطق بالحق والسنة الماضية، وقطب رحى القرآن العظيم من فاتحته إلى خاتمته في تقرير معلوم التوحيد.

(جـ) فضله من جهة الحاجة إليه:

أما فضل علم التوحيد باعتبار الحاجة إليه؛ فيظهر ذلك بالنظر إلى جملة أمور:

منها: إن الله تعالى طلبه، وأمر به كل مكلَف، وأثنى على أهله، ومدَح من توسل به إليه، ووعدهم أجرًا عظيمًا، قال تعالى: « فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ » (محمد: ١٩)، وقال عز من قائل: « وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ » (البينة: ٥).

ومنها: إن عقيدة التوحيد هي الحق الذي أُرسلت من أجله جميع الرسل، قال تعالى: « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ » (النحل: ٣٦). وقال سبحانه: « وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ » (الأنبياء: ٢٥)، وهي حق الله على عباده، كما في حديث معاذ -رضوان الله عليه-: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا »، وهي ملة أبينا إبراهيم- عليه السلام- التي أمر الله باتباعها، قال تعالى: « ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ » (النحل: ١٢٣)، وهي أيضًا دعوته- عليه السلام-؛ قال تعالى على لسانه: « وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ » (إبراهيم: ٣٥).

ومن فضل علم التوحيد أيضًا: أن الله تعالى جعل الإيمان شرطًا لقبول العمل الصالح، وانتفاع العبد به في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: « فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ » (الأنبياء: ٩٤)، وأي حاجة أكثر من حاجة العبد إلى العمل الصالح، وأن يؤمن برب العالمين سبحانه، وأن يلقى الله تعالى على ذلك؟! وقال سبحانه: « وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا » (الإسراء: ١٩).

فإذا جاء العبد بغير الإيمان، فقد خسر جميع عمله الصالح؛ قال تعالى: « وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ » (الزمر: ٦٥).

ومما يبين فضل التوحيد من جهة الحاجة إليه أن سعادة البشرية في الدنيا والآخرة متوقفة على علم التوحيد، فحاجة العبد إليه فوق كل حاجة، وضرورته إليه فوق كل ضرورة؛ فلا راحة ولا طمأنينة ولا سعادة إلا بأن يعرف العبد ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة صحيحة صادقة ناصحة، وهي جهة الوحي الرباني. يعني: ما ورد في كتاب الله وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثمرة علم التوحيد بالنسبة للمكلف:

فالتوحيد سبب في طيب العيش للإنسان، وانتظام أمر الحياة؛ بل إن قيام المدنية وازدهار الحضارة هي من ثمرات التوحيد المباركة؛ قال رب العالمين: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (الأعراف: ٩٦)، وقال تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل: ٩٧)، وقال تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (الرعد: ٢٨).

إن الإيمان يثمر طمأنينة القلب وراحته وقناعته بما رزقه الله به، ويجعل العبد لا يتعلق بغير ربه ومولاه؛ وهذه هي الحياة الطيبة، فإن أصل الحياة الطيبة راحة القلب وطمأنينته، وعدم تشوشه مما يتشوش منه الفاقد للإيمان الصحيح، وفي (الصحيح): أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير؛ إن أصابته سرّاء شكر فكان خير له؛ وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن».

ولذلك قال بعض السلف: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى: «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ» (الحديد: ١٣)، قال: «ما يصنع أعدائي بي؟! أنا جنتي وبُستاني بصدري، أنى رحت فهي معي لا تفارقني؛ إن حبسي خلوةٌ، وقتلي شهادة، واخراجي في من بلدي سياحة».

ومظاهر الحياة الطيبة التي خص الله بها عباده المؤمنين في الدنيا كثيرة:

فمنها: ولاية الله عز وجل.

«اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ» (البقرة: ٢٥٧).

ومنها: محبة الله عز وجل للمؤمنين، ومحبة الخلق لهم:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» (المائدة: ٥٤).

ومنها: مدافعة الله عن المؤمنين، وإنجاؤه لهم: إن الله عز وجل تكفل بنصر أوليائه المؤمنين على أعدائهم، قال سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ» (الحج: ٣٨)، ولم يذكر ما يدفعه عنهم حتى يكون أفخم وأعظم وأعم وأتم، وقال سبحانه: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ» (الأنبياء: ٨٨).

ومنها: حصول نور البصيرة التي تفرق بين الحق والباطل:

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» (الأنفال: ٢٩)، وهذا الفرقان فسره أهل العلم بالنور الذي يقذفه الله في قلب المؤمن، فيفرق به بين الحق والباطل، والسنة والبدعة، قال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (الشورى: ٥٢).

وللحديث صلة إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

القول الفصل في علاقة مالك الأسهم بالشركات المساهمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فقد ذهب الفقهاء المعاصرون مذاهب شتى في تكييف الأسهم، ومن ثم في تكييف عملية تداولها بالبورصة، وهو ما نعرض له في هذا المقال.

القول بأن المساهم مالك لحصة شائعة في موجودات الشركة:

ذهب جماهير الفقهاء المعاصرين (وهو ما تبنته المجامع الفقهية أيضًا) إلى أن المساهم مالك لحصة شائعة في رأس مال الشركة وموجوداتها، فالسهم في حقيقته جزء من رأس مال شركة المساهمة وموجوداتها، وبدفع المساهم لقيمة هذا السهم أصبح مالكًا لجزء شائع من الشركة بمقدار أسهمه. ومِن ثَم فهو حينما يتصرف في السهم فإنما يبيع حصة شائعة من موجودات الشركة.

مناقشة الرأي القائل بأن المساهم مالك لحصة شائعة في موجودات الشركة:

ما ذهب إليه هؤلاء الفقهاء غير صحيح مطلقًا؛ لأن فقهاء القانون جميعًا اتفقوا على أن موجودات الشركة هي ملك للشركة، وليست

إعداد **د. أيمن خليل**
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

مملوكة للمساهمين، وهذا أمر لا خلاف عليه؛ ومِن ثَم فكيف يبيع المساهم حصة شائعة في موجودات الشركة وهو لا يملكها؟

وإذا كان بيع السهم هو بيع لحصة شائعة في موجودات الشركة فلماذا لا يستطيع دائنو المساهم التنفيذ على أموال الشركة أو على حصة المساهم الشائعة في أصول وموجودات الشركة؟

والجواب عن ذلك لأن موجودات الشركة هي ملك للشركة نفسها وليس للمساهم، وقد بيَّنَّا في المقال السابق أن الشركة كشخص معنوي تظل هي المالك لرأس المال ولكافة موجودات الشركة طوال مدة بقائها، بل وخلال فترة تصفيتها، وهو ما يعني أن موجودات الشركة

تظل مملوكة للشركة دون سواها منذ نشأتها وحتى تصفيتها وبيعها وتسليم حملة الأسهم ما يخصهم في الشركة، وهذا أمر متفق عليه بين الفقه والقضاء.

ولذلك لم يستطع القائلون بهذا الرأي أن يزيلوا التناقض بين كون المساهم مالكًا على الشيوع في موجودات الشركة حال أنه لا يحق له التصرف فيها، ولا يستطيع رهنها ولا إفرازها ولا يملك التصرف في شيء من موجوداتها! فلا شك أن المساهم لا يبيع حصة شائعة في موجودات الشركة، ولا يصح القول بذلك مطلقًا.

القول بأن صلة المساهم بالشركة حق ملكية:

ذهب بعض الفقهاء إلى أن المساهم يتمتع بحق استئثاري يستطيع الاحتجاج به في مواجهة الكافة، ولذا فهو يأخذ موقف المالك وإن كانت ملكيته تقترب من حقوق الملكية المعنوية.

مناقشة الرأي القائل بأن صلة المساهم بالشركة حق ملكية:

القول بأن حق المساهم في الشركة هو من قبيل حق الملكية قول غير صحيح، ذلك أن الملكية هي القدرة القانونية التي يعطيها القانون لمالك الشيء للتصرف فيه، فتنص المادة ٨٠٢ من القانون المدني المصري على أن: "لمالك الشيء وحده في حدود القانون حق استعماله واستغلاله والتصرف فيه".

ولذلك عرف فقهاء القانون حق الملكية بقولهم: إن حق ملكية الشيء هو حق الاستئثار باستغلاله واستعماله والتصرف فيه على وجهٍ دائم في حدود القانون.

ولما كان مالك السهم لا يملك موجودات الشركة، ولا يملك رهنها، ولا يملك استعمال موجودات الشركة ولا التصرف فيها ولا استغلالها، بل لا يجوز لدائنه الحجز على حصته في الشركة، وهو ما لا يتصور معه مطلقًا أن تكون صلة المساهم بالشركة الملكية.

ولذلك حاول بعض القائلين بهذا الرأي الخروج من هذه المتناقضات بالقول بأن حق الملكية هذا لا يتأكد إلا عند تصفية الشركة وتقسيم موجوداتها، ولكن يرد عليهم بأنهم لم يبينوا ما هي صلة المساهم بالشركة طوال مدة بقائها وحتى تصفيتها؟ وخاصة وأنها ليست ملكية.

القول بأن ملكية المساهم بالشركة ملكية ناقصة:

حاول بعض الفقهاء القول بأن ملكية المساهم بالشركة ملكية ناقصة، والملكية الناقصة كما هو معلوم يكون الشخص مالكًا إلاَّ أنه ليس له القدرة على التصرف لأسباب عديدة؛ منها: الحجر للجنون، أو فاقد الأهلية للصِّغر.

وهذا القول يعني أن المساهم صار كالمحجور عليه للجنون أو السفه، أو صار كالصغير الذي لا يتصرف إلا من خلال وَليِّه؟! ويكفي تناقض هذا القول؛ حيث لا يتصور أن تكون الملكية ناقصة ويسمح للمساهم بالتصرف في أسهمه بالبيع؟ ويرد على أصحاب الرأي السابق أن تملك الشركة لموجوداتها ليس مثار نزاع عند الفقه أو القضاء، وهو ما لا يتصور معه وجود أي ملكية للمساهم على موجودات الشركة.

القول بأن الشركة وكيلة عن المساهمين:

أمام فظاظة القول بأن ملكية المساهم ملكية ناقصة (كالمجنون، والسفيه، والصغير)، اتجه أصحاب هذا الرأي إلى القول بأن أموال الشركة مملوكة للمساهمين على الحقيقة، ولكن الشركة وكيلة عن المساهمين، وهذا قول سقيم لأن الوكيل لا يغل يد الأصيل عن التصرف والإدارة.

والمساهم لا يملك رهن حصته في موجودات الشركة وفاءً لدين عليه، ولا يملك إنهاء حالة

الشيوع، ولا يملك دائنه الحجز على حصته بالشركة، فضلاً عن أن قيمة هذه الأسهم قد خرجت من ملك المساهم وانتقلت إلى ذمة الشركة نفسها.

القول بأن ملكية المساهم بالشركة ملكية على سبيل التبعية:

ذهب بعض الفقهاء إلى أن مالك السهم بامتلاكه لحصة في الشركة، فإنه يمتلك موجوداتها الحسية والمعنوية على سبيل التبعية، ولا يصح ذلك لأنه لا يسوغ القول بأن أموال الشركة ملْك للمساهمين حال أنها مملوكة للشركة، وذمتها المالية مستقلة عن ذممهم، وأموالها مستقلة عن أموالهم، وتعتبر أموالها ضماناً عاماً لدائنيها وحدها، دون دائني المساهمين. وهذا القول يتعارض مع هذه المبادئ القانونية.

ولما كان من المقرر شرعًا وقانونًا وعقلاً أن المال الواحد لا يمكن أن يكون مملوكًا ملكية مفرزة لاثنين في وقت واحد، ولما كان رأس مال الشركة وموجوداتها عند كافة فقهاء القانون والقضاء مملوكًا للشركة فلا يتصور أن يكون في نفس الوقت مملوكًا للمساهمين. ولا خلاف في ثبوت الملكية للشركة وحدها دون سواها، ومن ثم يكون القول بأن حق المساهم في الشركة هو حق ملكية قول مجانب للصواب.

صلة المساهم بالشركة، حق دائنية للمساهم قبل الشركة:

نتيجة لغلبة الاتجاه القائل بأن شركة المساهمة ليست عقدًا ذاتيًا، وانما هي اتفاق منظَم، فقد انتهى إلى اعتبار صلة المساهم حق دائنية؛ أي أنه حق شخصي لدَيْن مؤجل غير حال، وهذا الحق قِبَل الشركة التي تنفصل ذمتها المالية تمامًا عن ذمة المساهمين فيها، وذلك لتمتعها بشخصية اعتبارية مستقلة عن الشركاء.

فبدفع المساهم لحصته في الشركة يصبح دائنًا للشركة بحقٍ يتمثل في حصة من موجودات الشركة عند تصفيتها تـوازي ما يملكه من أسـهم، وحـق الدائـنـيـة هـذا احـتـمـالي، فهو بمثابة دَيْن مشكوك فيه.

وهذا الحق من طبيعة منقولة، ولو كانت حصة المساهم عينية، فالأسهم تمثل حقوقًا شخصية للمساهم قِبَل الشركة، وهي بهذه المثابة تُعدّ أموالاً منقولة، ولو كانت أموال الشركة كلها أموالاً عقارية.

ووفقًا لهذا الرأي يعد حق الشريك قبل الشركة مجرد حق دائن من طبيعة منقولة، ولو كانت أموال الشركة تشمل عقارات، بل ولو كانت حصة الشريك عقارًا، فالحصة التي يقدّمها الشريك إلى الشركة خرجت من ملكه وانتقلت إلى ملك الشركة، ولم يعد للمساهم إلا مجرد الأمل في الحصول على نسبة من الأرباح في حياة الشركة، فضلاً عن حق في المشاركة في إدارة الشركة، ونصيب من موجودات الشركة عندما تنقضي ويتم تصفيتها.

وعلى ذلك فملكية السهم تستقل عن ملكية الأصول والأعيان التي تملكها الشركة، فالحصص المقدمة من المساهمين انتقلت على سبيل التمليك إلى الذمة المالية المستقلة للشركة، وفقد المساهمون كل حق عيني لهم فيها، وتعلقت حقوق دائني الشركة بأموال الشركة، أما المساهمون كدائنين شخصيين فليس لهم حقوق على أموال الشركة إلا بعد تصفية موجوداتها، وقبل ذلك لا يجوز لهم أخذ اختصاص أو رهن على مال الشركة ولا الحجز على هذا المال. وهو ما يعني أن المال المملوك للشركة لا يُعتبر ملكًا شائعًا بين الشركاء، بل هو ملْك للشركة ذاتها ما دامت الشركة قائمة.

مناقشة الرأي القائل بأن صلة المساهم بالشركة حق دائنية للمساهم قبل الشركة:

هذا القول يقرر أن طبيعة علاقة المساهم هي حق دائنية، فهذا الحق ليس عينيًا، أي لا يُكسب أيّ حق على موجودات الشركة، وإنما هو حق شخصي؛ أي التزامات، ولأن الحق الشخصي ينشئ رابطة بين شخصين، وبالتالي فإن حجية هذه الرابطة وما يترتب عليها من حقوق والتزامات تبقى محصورة بين أطرافها، ولا حجية لها على الغير، بخلاف الحق العيني، الذي يعطي صاحبه حقًا مطلقًا في مواجهة الكافة، فلا بد في الحق الشخصي من تحديد شخص المدين، والمدين بهذا الحق عند أصحاب هذا الرأي هو الشركة نفسها (كشخص معنوي له أهلية قانونية).

وقد ذهب أغلب الفقه إلى تحديد طبيعة حق المساهم في الشركة بأنه حق دائنية، ولكن هذا الحق ليس قِبَل باقي المساهمين، وإنما قِبَل الشركة التي تنفصل ذمتها المالية تمامًا عن ذمة المساهمين فيها، ومن ثم فحق المساهم قِبَل الشركة هو حق دائنية؛ أي التزامات شخصية وليس حقًا عينيًا على أموال الشركة وموجوداتها، وهو يكون دومًا من طبيعة منقولة، ولو كانت الشركة التي يسهم فيها شركة عقارية فلا تعلق له بموجودات الشركة، فالمساهم ليس له إلا مجرد الأمل في الحصول على نسبة من الأرباح في حياة الشركة، فضلاً عن حق في المشاركة في إدارة الشركة، ونصيب من موجودات الشركة عندما تنقضي، ومن ثَمَّ تتمثل حقوق المساهم لدى الشركة في التزامات شخصية للمساهم قِبَل الشركة تتمثل في حقه في الحصول على حصة من الربح المتحقق، وحقه في الاشتراك في الإدارة بحضور الجمعية العامة والتصويت فيها، فضلاً عن حقه في الحصول على حصة تقابل أسهمه من ناتج تصفية رأس مال وموجودات الشركة.

فالمساهم خرجت قيمة أسهمه من ملكه، واستقرت في ملك الشركة، وانتهت كل صلة له بها، حتى إنه ليس له أي حق عيني على موجودات الشركة، وإنما مجرد التزام قِبَل الشركة بأن تلتزم قِبَل المساهم بأداء حصته من الربح المتحقق، فضلاً عن الالتزام بأداء كافة الحقوق التي ينتجها السهم لصاحبه.

وهذا القول هو القول الراجح: إن مالك الأسهم غير مالك لحصة بالشركات المساهمة، وإنما هو دائن لها بحق شخصي.

تنازل المساهم عن حق الدائنية الخاص بالأسهم ليس بيعا وإنما حوالة حق:

لا يستقيم القول بأن المساهم حينما يقوم بالتصرف في الأسهم التي يمتلكها أنه يبيع حصة شائعة في أصول وموجودات الشركة؛ لأنه خلاف بين الفقهاء في أن هذا المال قد خرج من ملك المساهم، واستقر في ملك الشركة. وإنما هو في الحقيقة يحيل حقوقًا مالية منه إلى دائن آخر لقاء عوض يحصل عليه، مع بقاء شخص المدين-وهو الشركة- ثابتًا دون تغيير حيث تغير الدائن فقط، وهذه الحوالة تتم بالطرق التجارية وليس عن طريق حوالة الحق المنصوص عليها في القانون المدني.

لما كان الالتزام الناتج عن بيع السهم ينبغي أن يرتب أثره في ذمة البائع فيلتزم البائع بكافة الآثار الناجمة عن عقد البيع، ولكن على خلاف ذلك نجد أن بائع السهم لا يترتب عليه الالتزامات المترتبة على عقد البيع، بل ولا يمكن مطالبته بأداء ما ترتب على عقد البيع من آثار، فلا يتصور مطالبته بالأرباح ولا مطالبته بأداء

ما ينجم عن تصفية موجودات الشركة عند انتهاء أجلها، فالملتزم بهذا هو الشركة دون سواها رغم أنها ليست طرفًا في العقد، بل ولا يمكن إلزام بائع الأسهم بالتضامن مع الشركة في التزاماتها، وهو الأمر الذي يؤكد أن بيع الأسهم هو في حقيقته حوالة للحقوق التي يخوّلها السهم لقاء عِوض مالي يحصل عليه المحيل (المساهم أو صاحب السهم). ولذلك نجد المشرع المصري في القانون ٩٥ لسنة ١٩٩٢ يعبر عن بيع الأوراق المالية بلفظة "تداول"، فنصت المادة ١٥ منه في فقرتها الأولى على أن: "يتم قيد وتداول الأوراق المالية في سوق تسمى بورصة الأوراق المالية".

وحق المساهم (حق دائنية) حق شخصي يقبل الحوالة، وحوالة الحق لا تنشئ التزامًا جديدًا في ذمة المدين، وإنما هي تنقل الالتزام أصلاً في ذمته من دائن إلى دائن آخر باعتبار هذا الالتزام حقًا للدائن المحيل، وينتقل بهذه الحوالة الالتزام ذاته بجميع مقوماته وخصائصه، فحوالة الحق هي اتفاق بين المحيل وبين المحال له على تحويل حق الأول الذي في ذمة المحال عليه إلى الثاني.

ولما كان السهم يتضمن حقوقا للمساهم، فإن تداول الأسهم يُعدَ من قبيل التنازل عن هذه الحقوق، وهو الأمر الذي نظَّم أحكامه القانون المدني، ولكن تداول الأسهم لا يتم عادة بطريق حوالة الحق ولكن بواسطة التداول بالطرق التي يعرفها القانون التجاري، ويترتب على قابلية السهم للتداول حق كل مساهم في أن ينقل ملكية جميع أسهمه أو بعضها للغير أو لأحد المساهمين دون الحاجة إلى موافقة باقي الشركاء، وبغير اتباع قواعد حوالة الحق المدنية المنصوص عليها في المادة ٣٠٥ من القانون المدني.

ولأن شركة المساهمة تقوم على الاعتبار المالي فشخص المساهم ليس محل اعتبار، ولذا يجوز للمساهم أن ينقل ملكية أسهمه إلى الغير وقتما يشاء دون الحاجة إلى موافقة باقي الشركاء، وبغير اتباع قواعد حوالة الحق المدنية المنصوص عليها في المادة ٣٠٥ من القانون المدني في حق الشركة، وقابلية السهم للتداول من الصفات الجوهرية التي تميز الأسهم، ولذلك حظر القانون على شركة المساهمة التي تطرح أسهمها في اكتتاب عام أو تقيد أوراقها المالية في البورصة أن تضع قيدًا على تداول أسهمها (دون إخلال بالقيود القانونية)؛ وذلك أن قيد الأوراق المالية في سجلات البورصة والسماح بتداول هذه الورقة يعنى إعلام إدارة البورصة لجمهور المدخرين والمستثمرين بالتعامل في هذه الورقة، وهذا يعنى إعلام بأن الشركة مصدرة الورقة المالية قد التزمت باشتراطات الإفصاح والشفافية التي تتطلبها قواعد القيد، وهو ما يعني بصورة جازمة قبول الشركة لحوالة الحق.

المثالب العامة التي تشوب تداول الأسهم:

ينحصر حق حامل السهم في الحصول على الأرباح إن تحققت، وهذا حق دائنية يفيد حقًّا احتماليًّا في الأرباح، فضلاً عن الحق في الحصول على جزء من عائد تصفية الشركة عند انقضاء أجلها وقيام المصفي بتصفيتها، وبعد اعتماد تقرير تصفيته تنتهي شخصية الشركة المعنوية آنذاك ويسترد حَمَلة الأسهم ما يخصهم من عائد التصفية، ولكن هذا

العائد مجهول لا يعلمه أحد، فقد يكون قليلاً وقد يكون كثيرًا، وقد يساوي قيمة السهم الاسمية، وقد لا يساويها، وهو ما يجعل بيع الأسهم غير معلوم وغير مقدر وغير مقدور على تسليمه، فمحل التعامل ليس حصة من الشركة، وحامل الأسهم لا يبيع حصة شائعة في الشركة، وإنما يحيل حقًا مستقبليًا له قِبَل الشركة ويأخذ عوضًا عن ذلك.

وحق الدائنية الذي يترتب لحامل السهم لدى الشركة مُضاف إلى أجل، فهذه الالتزامات كلها في المستقبل، فلا يجوز المطالبة بهذا الحق إلا عند انقضاء مدة الشركة.

ولما كان من الثابت باتفاق فقهاء القانون أن التزام الشركة غير متحقق في التوِّ والحال؛ لأنه التزام مُضاف إلى أجل، ولما كان الأجل هو من الأوصاف المُعدِّلة لآثار الالتزام، والتي تؤثر على نفاذه، فالأجل وإن كان لا يمسّ وجود الالتزام لاقترانه دائمًا بالتزام قائم، وإنما ينحصر أثره في نفاذ الالتزام؛ حيث لا ينفذ الالتزام إلا عند حلول الأجل، وقبل ذلك يكون الالتزام غير مستحق الأداء.

وفيما يتعلق بمحل الالتزام والمتمثل في حصول حامل السهم على جزء من عائد تصفية الشركة عند انقضاء أجلها، فإن محل الالتزام غير معين، بل وغير قابل للتعيين، فلا يمكننا تحديد قيمة السهم إلا عند تصفية الشركة. بل ولا يمكن وقت بيع السهم معرفة موجودات الشركة عند تصفيتها ولا قيمتها ولا ما سيخص حامل السهم منها حينئذ.

وهو ما يمكننا معه القول: إن هذا الالتزام غير المعين يؤدي إلى وقوع المتعاقد في غلط جوهري؛ حيث يتعاقد على الأسهم وهو يجهل قيمتها الحقيقية التي ستؤول إليها مستقبلاً، وكثيرًا ما يتعامل وهو يؤمل الخير الكثير من ورائها، ولكن قد ينتهي الأمر به إلى خسارة فادحة تأتي على ماله، وهو الأمر الذي لا يتحقق معه سلامة الرضا من العيوب؛ إذ لا يكفي صدور الإرادة عن المتعاقد لسلامة العقد، وإنما يجب سلامة هذه الإرادة من العيوب التي تشوبها كالغلط أو التدليس أو الإكراه أو الاستغلال.

ولما كان الغلط هو توهم الأمر بخلاف حقيقته، وحالة الخطأ الظاهرة في التعامل في الأسهم يمكن القول أنها من قبيل الغلط الجوهري في القيمة والتي يكون تأثيرها في الثمن فادحًا، وخاصة إذا أدى إلى اختلال كبير بين القيمة الحقيقية للسهم والقيمة التي توهمها المتعاقد.

فما يحصل عليه المساهم لقاء أسهمه عند تصفية الشركة قد يقل عن القيمة الفعلية التي دفعها ثمنًا لهذه الأسهم فلا يعلم على وجه التحديد قيمة ما يخص السهم من حق نقدي إلا عند تصفية الشركة، بل إن السهم لا يعلم إن كان سيتبقى له حصة بعد سداد ديون الشركة من عدمه، وهو ما يعني أن التعامل مجهول العاقبة يشوبه الغرر.

فالقول الراجح: أن مالك الأسهم غير مالك لحصة بالشركات المساهمة، وإنما هو دائن لها بحق شخصي. وأن تداول الأسهم ليس بيعًا لحصة شائعة في موجودات الشركة، وإنما هو حوالة لحقٍّ مستقبليٍّ لحامل الأسهم قِبَل الشركة، ويأخذ عوضًا عن ذلك. وهذه الحوالة مشوبة بالغرر كما أسلفنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدعاء في الصلاة

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عنه أن رَسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم، كان إذا قامَ إلى الصَّلاة، قال: وَجَّهْتُ وَجْهي للَّذي فطرَ السَّمَوات والأَرْضَ حنيفًا، وما أنا منَ المُشركينَ، إنَّ صَلاتي ونُسُكي، ومَحْيايَ ومَماتي للَّه رَبِّ العالَمينَ، لا شريكَ له، وبذلكَ أُمرْتُ وأنا منَ المُسلمينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلكُ لا إلهَ إلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ ربِّي وأنا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسي، واعْتَرَفْتُ بذَنْبي، فاغْفرْ لي ذُنُوبي جميعًا، إنَّه لا يَغْفرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أَنْتَ، واهْدني لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ، لا يَهْدي لأَحْسَنها إلاَّ أَنْتَ، واصْرفْ عَنِّي سَيِّئَها، لا يَصْرفُ عَنِّي سَيِّئَها إلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، والْخَيْرُ كُلُّهُ في يدَيْكَ، والشَّرُّ ليسَ إلَيْكَ، أنا بكَ وإلَيْكَ، تَبارَكْتَ ربنا وتَعالَيْتَ، أَسْتَغْفرُكَ وأَتُوبُ إلَيْكَ. وإذا ركَعَ قالَ: اللَّهُمَّ لكَ رَكَعْتُ، وبكَ آمَنْتُ، ولكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لكَ سَمْعي وبَصَري، ومُخِّي، وعَظْمي وعَصَبي.

وإذا رَفَعَ قالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنا لكَ الحَمْدُ ملْءَ السَّمَوات وملْءَ الأَرْضِ، ومِلْءَ ما بيْنَهُما ومِلْءَ ما شئْتَ من شيءٍ بَعْدُ.

وإذا سَجَدَ قالَ: اللَّهُمَّ لكَ سَجَدْتُ، وبكَ آمَنْتُ، ولكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهي للَّذي خَلَقَهُ، وصَوَّرَهُ، وشَقَّ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ، تَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخالقينَ.

ثُمَّ يكونُ من آخرِ ما يقولُ بيْنَ التَّشَهُّد والتَّسْليم: اللَّهُمَّ اغْفرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ، وما أَسْرَفْتُ، وما أَنْتَ أَعْلَمُ به منِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إلهَ إلاَّ أَنْتَ. (صحيح مسلم).

تكلمنا في لقائنا الماضي عن حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه في الدعاء في الصلاة الذي أخرجه النسائي وأحمد. وفي هذا اللقاء نتكلم عن حديث علي بن أبي طالب في الدعاء في الصلاة أيضًا.

والصلاة في اللغة معناها الدعاء، وفي المعنى الاصطلاحي: أقوال وأفعال خاصة تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم، ويتخللها القيام وقراءة القرآن والركوع والسجود والتشهد.

والصلاة لا تكاد تخلو من الدعاء، فهي لقاء العبد ربه سبحانه وتعالى يناجيه بالتكبير والتعظيم وبتلاوة ما تيسر من القرآن بعد أن يحمده سبحانه ويثني عليه ويمجده ثم يسأله العون على ذكره

وشكره وحسن عبادته وحده لا شريك له.

-(إياك نعبد): فلا نعبد إلا إياك.

- (وإيـاك نستعين): فلا نطلب المعونة إلا منك وحدك.

ثم يطلب العبد من ربـه ومعبوده الهداية إلى صراطه المستقيم، الموصل إلى مرضاته سبحانه وتعالى، والمبلغ إلى جناته العاليات جنات النعيم في صحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

ويتكرر هذا الدعاء، وهـذه المناجاة في كل ركعة من ركعات الصلاة، فلا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وأم القرآن. لقد كان النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يُحبُّ الصَّلاة، ويُكثرُ التطوُّع والتَّنفُّل في النَّهار واللَّيل، ويقول: وجعلت قرة عيني في الصلاة.

وفي هذا الحديث يَروي لنا عليّ بن أبي طالب رضي اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان إذا قام إلى صلاة مكتوبة أو نافلة، دعا الله -عزَّ وجلَّ- بهذا الدعاء، وهو ما يُعرف بدُعاء الاستفتاح، ويكونُ بعْد تكبيرة الإحرام وقبْل قراءة الفاتحة. وقد كان رسول الله يستفتح صلاته باستفتاحات كثيرة ومتنوعة يعلن فيها تكبير الله كثيرًا وتسبيحه بكرةً وأصيلاً، ويسأل الله عز وجل أن يباعد بينه وبين الذنوب والخطايا كما باعد بين المشرق والمغرب

وفي هذا الاستفتاح كان صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ في دُعائه:

(وجَّهْتُ وجْهي)، أي: توجَّهتُ بالعبادة وأخلصْتُها لله عز وجل: الَّذي (فطر السَّموات والأرض): أي: ابتدأ خلْقهما من العدم على غير مثالٍ سابق، (حنيفًا)، حال، وأنا في كلِّ حين حَنيفٌ مائلٌ عن الشِّرك إلى التَّوحيد، والحنيفُ عند العربِ من كان على دينِ إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسَّلامُ، وهو الإسلامُ، ثمَّ زاد معنى الحَنيف بيانًا وتوضيحًا، فقال: (وما أنا من المُشركين): أي لا أُشركُ بالله شيئًا، فلستُ من المتلبثين بالشِّرك، والكُفر.

ثمَّ يدعو ويقولُ: (إنَّ صلاتي): الَّتي أُصلِّيها فرضًا ونفلاً، وكذلك دعائي ومناجاتي؛ فالصلاة تطلق على الدعاء (ونُسُكي): النسك، والنَّسيكةُ والمنسك كلُّ ما يُتقرَّبُ به إلى الله عز وجل، وتُطلقُ على الذَّبيحة الَّتي يُتقرَّبُ بها إلى الله تعالى، وعلى الحج والعمرة وما فيهما من مناسك، ويطلق على العيد الذي يعتادونه مكانًا وزمانًا.

قال تعالى: «لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ» (الحج ٦٧)، والنَّاسكُ هو الَّذي يعبد الله عز وجل ويُخلصُ في عبادته لله تعالى، ويكاد يترك لذات الحياة الدنيا ويتفرغ لعبادته، (ومحياي ومماتي): حياتي ومماتي لله: فهو خالقُهما ومُقدِّرهما، وهو المالكُ لهما، والمُختصُّ بهما، لا تصرُّف لغيره فيهما. وقيل: طاعاتُ الحياة، والخيراتُ المضافةُ إلى الممات كالوصيَّة، أو ما أنا عليه من العبادة في حياتي، وما أموتُ عليه، ويختم لي به من الأعمال كلها خالصةً لوجه الله وعلى الهدي والسنة، ولهذا قال في دعاء عمار: "أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي".

(ربِّ العالمين): مالكهم ومُربِّيهم ومُصلح شؤونهم ومُدبِّرها، لا شريكَ له في مُلكه. (وبذلك أُمرْتُ): وقد أُمرتُ بكلِّ ذلك: بالتَّوحيد الشَّامل للإخلاص قولاً واعتقادًا والمتابعة للنبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: فهو الأسوة والقدوة. (وأنا من المُسلمين)، المُستسلمين لأمر الله، الخاضعينَ له، المُنقادين لطاعته، المُقرِّين بكلِّ هذه الصِّفات لله سُبحانه، وهذا تأكيدٌ لمعاني التَّوحيد والطاعة والانقياد لله عزَّ وجلَّ.

ثُمَّ أثنى على الله تعالى، واعترَف بذنْبه، وطلبَ

منه المغفرة فقال: (اللهمَّ أنتَ الملكُ): أي المالكُ الحقيقيُّ لجميع المخلوقات، والألف واللام للشمول والاستغراق، فأنت سبحانك مالك الملك، وكل من عداك مملوك لك، تؤتي الملك من تشاء وتنزعه ممن تشاء.

إلهنا ما أعدلك!
مليك كل من ملك
إن الحمد لك
والملك لا شريك لك

(وأنا عبدُك): عابد لك، معترفٌ بأنك مالكي ومُدبري. (ظلمتُ نفسي، واعترفتُ بذنبي): ظلمتُ نفسي بالتقصير في حق طاعتك وعبادتك، واعترفتُ بالتقصير والتفريط ومقارفة الذنوب (فاغفرْ لي ذُنوبي جميعًا): تجاوزْ يا ربِّ عن تقصيري واغفر يارب ذنبي كله دقيقه وجليله وعلانيته وسره، وأوله وآخره، مما علمته، وأصررت عليه، ومما خفي عليَّ وأحصاه علمك.

(إنه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلاَّ أنت): وهذا اعترافٌ وإقرارٌ لله بأنه يملك الغفران وحده، وفيه: اعترافٌ بالتقصير، وقدمه على طلب المغفرة تأدُّبًا، كما قال الأبوان آدمُ وحوَّاءُ عليهما السَّلامُ: «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (الأعراف: ٢٣).

(واهدني لأحسن الأخلاق): أرشدْني لأكملها وأفضلها، ووفقْني للتخلُّق بها، وثبِّتْني عليها (لا يهدي لأحسنها إلاَّ أنت): بيدك وحدك الهداية، فقلوب العباد بيْن إصبعين من أصابع الرحمن، يُقلِّبُها كيف يشاء (واصرف عنِّي سيئَها): أبعد عنِّي قبيحها والمذموم منها، (لا يصرفُ عنِّي سيئَها إلاَّ أنت): وهذا إقرارٌ بأنَّ الله سُبحانه هو وحده القادر على ردِّ القضاء وصرف السَّيئ منها عن عباده.

(لبَّيكَ) أي: أقيمُ على طاعتك وامتثال أمرك إقامةً مُتكرِّرةً، وقد سبق بيان معنى لبيك في مقال سابق، (وسعديْك): يعْني إسعادًا بعد إسعاد، وطاعةً بعد طاعة، وأصله أن المُنادي إذا دعا غيره فإن المُجيب لدعائه يجيبه إسعادًا له ومساعدة ثمَّ نُقل ذلك إلى مُطلق الطَّاعة حتَّى اسْتُعمل في إجابة دُعاء الله عز وجل، فالله تعالى يدْعو عباده إلى طاعته، وإلى ما فيه رضاهُ عنْهم وما يُوجب لهم به سعادة الآخرة فمن أجاب واستجاب فقد أفلح وأنجح.

(الخيرُ كلُّه في يديك): إقرارٌ بأنَّ كلَّ خيرٍ واصلٍ إلى العباد ومرجُوٍّ وصولُه، فهو في يديه سبحانه وتعالى (والشرُّ ليس إليكَ): فلا يُنسبُ الشرُّ إليك تأدبًا، أو الشرُّ لا يُتقرَّبُ به إليك، أو الشرُّ لا يصعدُ إليك، وإنَّما الكلمُ الطيِّبُ هو الَّذي يصعدُ (وأنا بك وإليك): إنَّ توفيقي بك والتجائي إليك، وُجودي بإيجادك، ورجوعي إليك، بك أعتمدُ، وإليك ألتجئُ.

(تباركْتَ وتعاليْتَ): هذا ثناءٌ على الله عز وجل بأمرين: أحدُهما: تباركْتَ، والتاءُ للمُبالغة؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ هو أهلُ البركة، وواهب البركة فكلمة «تباركْتَ» تعني كثُرتْ خيْراتُك، وعمَّتْ ووسعت الخلْق؛ لأنَّ البركة هي الخيرُ الكثيرُ الدائمُ. وثانيهما: «تعاليْتَ» من العُلوِّ الذاتيِّ والوصْفيِّ؛ فاللهُ سُبحانه وتعالى عليٌّ بذاته، وعليٌّ بصفاته، عليٌّ بذاته فوْقَ جميع الخلْق، وعُلوُّه سُبحانه وتعالى وصفٌ ذاتيٌّ أزليٌّ أبديٌّ.

(أستغفرُك وأتوبُ إليكَ): كرر الدعاء بالمغفرة فالمعنى أطلبُ منك المغفرة ومحْو الخطايا، فكان صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة، ورسول الله صلى الله عليه وسلَّم قدْ غُفر له ما تقدَّمَ من ذنْبه وما تأخَّر،

ومع هذا كان يكثر من الاستغفار. وقيل: هذا من باب التعليم لأمته صلى الله عليه وسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم يستفتح صلاته بهذا الدعاء العظيم. وقيل: في صلاة الليل، وقيل في الفرائض أيضا. وقد استحب الامام الشافعي استفتاح الصلاة بهذ الدعاء والتوجه. وأكثر المصلين يقتصر على بعضه، فيكتفي بأوله إلى قوله: وبذلك أمرت وأنا من المسلمين.

وإذا ركع صلى الله عليه وسلم قال في ركوعه:

(اللهم لك ركعت): لك وحدك، فلا أنحني لبشر أو خلق من خلقك، (وبك آمنت): بك ربا وإلها لا يستحق العبادة سواه، وبأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى. (ولك أسلمت): ذللت وانقدت، ولك وحدك أخلصت وجهي، وتوجهي وعبادتي. (خشع سمعي وبصري): خضع وتواضع لك سمعي وبصري، وخصهما من بين الحواس؛ لأن أكثر الآفات بهما، فإذا خشعتا قلت الوساوس.

(ومخي وعظمي وعصبي): والمخ معروف وهو في الدماغ ويدخل فيه نخاع العظام والعصب هو أطناب الجسد، التي تتصل بها المفاصل والعظام وتشدها. وزاد في رواية: (وما استقلت به قدمي)، وأصل الخشوع في القلب، فإذا استقر في القلب ظهر أثره على الجوارح.

فإذا رفع رأسه من الركوع وقال: سمع الله لمن حمده، قال بعدها: (اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد)؛ ومعناه: أتوجه إليك يا الله بالحمد الكامل والمكافئ لنعمك وأفضالك، كما تشاء من العدد، فلك من الحمد ما يملأ السموات والأرض وما بينهما، وملء غير السموات والأرض مما شئت من شيء بعد، مما لا علم للعباد به، وهذا من الحمد المضعف وهو أبلغ من مجرد قول الحامد: ربنا لك الحمد.

ثم إذا سجد قال في سجوده: (اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه): خضع وذل وانقاد لله سبحانه، وخص الوجه بالذكر من بين أعضاء السجود؛ لأنه أشرفها. فالله تعالى هو الذي صوره وشق سمعه وبصره، فالذي خلق هذا الوجه، وجعل له ملامح يعرف بها، وفتح فيه العينين والأذنين، وأعطاهما الإدراك بالسمع والبصر؛ هو المستحق للعبادة والسجود والخضوع له.

(فتبارك الله): سبحانه وتعالى وتقدس الرب الخالق المنفرد بالايجاد من عدم، والتصوير على أحسن صورة واهب النعم ومنزل البركات. (أحسن الخالقين): المصورين والمقدرين، لأنه الخالق من العدم فطرهم وأبدعهم على غير مثال سبق.

ثم يكون من آخر ما يقول بعد التشهد وقبل التسليم: (اللهم اغفر لي ما قدمت): من سيئة، (وما أخرت): من عمل، وقيل: ما أخرته في علمك مما قضيته علي، وقيل: إن وقع مني في المستقبل ذنب، فاجعله مقرونا بمغفرتك، فالمراد من طلب المغفرة قبل الوقوع أن يغفر الذنب إذا وقع.

(وما أسررت، وما أعلنت): يعني اغفر لي جميع الذنوب؛ لأنها إما متقدمة أو متأخرة، وإما سر أو علن (وما أسرفت): فيه فجاوزت به الحد، (وما أنت أعلم به مني): من ذنوبي التي نسيتها فلا أعلمها.

(أنت المقدم وأنت المؤخر): فلا مقدم لما أخرت، ولا مؤخر لما قدمت، (لا إله إلا أنت): لا معبود بحق إلا أنت سبحانك، لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فختم بالثناء على الله عز وجل بكلمة التوحيد.

والحمد لله رب العالمين.

وسائل تحقيق الطمأنينة النفسية للأطفال

إعداد **الشيخ/ عادل شوشة**
فرع المنصورة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ، أما بعد:

فكما أن الطفل له احتياجات جسدية فله كذلك احتياجات نفسية ومنها الحاجة إلى الأمن والطمأنينة، وذلك على النحو التالي:

فمن أهم الاحتياجات المرتبطة بالتنمية السوية للطفل نفسيًا الحاجة إلى الاطمئنان، والحاجة إلى الاطمئنان تشكل العاطفة والاتجاهات التي تتحكم في مواقفه واختياراته، والأبوان لهما دور أساسي جدًا في تشكيل هذه العاطفة وتحقيق الطمأنينة لدى الأبناء.

وسائل تحقيق الطمأنينة النفسية للأطفال:

أولاً: الرفق واللين:

الرفق واللين في التعامل مع الأبناء يحقق لديهم ثقة متبادلة واطمئنانًا نفسيًا وعواطف مشتركة؛ لأن اللين والرفق هو التعبير الحقيقي والأمثل على محبة الوالدين لأبنائهما، والرفق عبارة عن رسالة ترسلها أنت إلى الطفل ليستوعب من خلالها أنك تحبه وتريد به الخير. وعلى اعتبار أن الرفق هو الأصل في العملية التربوية يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ عُزِلَ عَنْهُ إِلاَّ شَانَهُ. (أحمد (٢٦٣٤٨)، انظر: "صحيح الجامع" (٥٦٥٤)).

وحينما جاءَ أَعْرابيٌّ إلى النَّبيِّ صَلَّى الله عليْهِ وسَلَّمَ فقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فقَالَ النَّبيُّ صَلَّى الله عليْهِ وسَلَّمَ: «أَوَأَمْلِكُ لكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ». (البخاري (٥٩٩٨)).

فهذا الرفق وهذا التودد رسالة تبلغ بها الطفل أنك تحبه وفي نفس الوقت تعطيه الأمان أنك أيضًا تحبه، فالأصل في التعامل

هو الرفق واللين.

ثانيا: تخفيف اللوم والعتاب:

فللأطفال قدرات عقلية أقل بلا شك من الرجال فتراعى إذًا قدراتهم العقلية، ولا يؤاخذون بكل شيء يصدر منهم، بل إن آخذتهم فآخذهم ببعض أفعالهم وتجوّز لهم عن البعض الآخر.

عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: خَدَمْتُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّه عليْه وَسلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لي أُفٍّ، وَلاَ لِمَ صَنَعْتَ، وَلاَ أَلاَّ صَنَعْتَ. (البخاري (٦٠٣٨)).

ولا يفهم من هذا ترك المؤاخذة بالكلية، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم آخذ البعض وعاتبهم.

وأيضا فالله لا يحب الفساد فإذا فعل الطفل شيئا فيه فساد فلزاما أن ينهى عنه، ولزاما أن يوجه إلى ما فيه الصلاح، إذ النصيحة واجبة على المسلم للمسلم.

ومن الجدير بالتنبيه أن استعمال القسوة والشدة مع طفل لم يكتمل نموه النفسي قد يصيبه باضطرابات سلوكية كالخوف المرضي وفقدان الثقة بالنفس أو التقدير للذات والذي قد تكون علامته التبول اللاإرادي -كما هو الحال عند كثير من الأطفال- والحقيقة أن الشدة والقسوة أو البداءة بالشدة والقسوة هي عبارة عن إعلان إفلاس تربوي معناه أن هذا المربي عاجز فاشل لا يستطيع أن يوجه بالكلمة الطيبة وبالحوار وبالرحمة ومن ثم يلجأ إلى أسلوب الشدة والقسوة.

هذا وقد عقد ابن خلدون فصلاً كاملاً في ذلك فقال: فصل في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم، وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم، سيما في أصاغر الولد، لأنه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقاً، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه أو منزله، وصار عيالاً على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها، فارتكس وعاد في أسفل السافلين. (مقدمة ابن خلدون ص٣٤٧).

ثالثًا: الاجتهاد والبحث عن وسائل لإدخال البهجة والسرور على الطفل:

وهذه إما أن تكون مادية أو معنوية:

معنوية كالقُبلة أو المداعبة أو الضم أو السلام أو الابتسام في وجهه، هذه كلها مما يدخل البهجة والسرور على الطفل.

وهناك وسائل مادية كشراء الهدايا واللعب وما يدخل الفرحة على الأبناء ويشتهونه دون إسراف.

فهذه الوسائل التي تُدخل عليه الفرحة والبهجة، أيضًا هي صورة من صور التعبير عن الحب الحقيقي، ومن المهم جدًا أن يشعر الطفل بأنه محبوب، ولذلك من الخطأ الشديد تربويًا أن تهدد الطفل بأنه إذا لم يفعل كذا فلن تحبه؛ لأن الحب غير قابل للمساومة أو استعماله كسلاح لاجتذاب الطفل، فلا بد أن يشعر الطفل أنك تحبه في كل الأحوال، وأنك تتقبله في كل الأحوال،

وإن كان هذا لا يعني ألا تنكر عليه سلوكه الخاطئ لكن بصورة مناسبة؛ فشعور الطفل بأنه مرغوب ومحبوب عنصر مهم في اكتمال نموه السوي حتى تتشكل شخصيته المستقرة وتنمو لديه القدرات الإبداعية وتشع منه معاني التفاؤل والنجاح.

عن جابر بن سمرة قال: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا-هذا التلامس الجسدي له أثر مهم جدًا في الطفل فأخذ يمسح خدي كل واحد من الأطفال واحدًا واحدًا- قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ.
(مسلم (٢٣٢٩)).

رابعا: سؤال الطفل عن أحواله، والاهتمام بشئونه، ومتابعة أخباره، ومشاركته أفراحه وأحزانه:

وهذا كله يشكل قاعدة يعتمد عليها الطفل في مواجهة صدامات الحياة، وهذا يحدث تقاربًا بين القلوب، وينمي الثقة بين الولد وأبويه.

هذا الاهتمام يجعل الوالدين على علم ودراية بأحوال ابنهما يومًا بعد يوم وبالتالي تعرف الأحوال ينبئ الوالدين إلى تنمية الأمور الصالحة ومعالجة ما يمكن أن يفسد من أخلاق أو سلوكيات قبل استفحالها، وكل هذا يفرض بصماته على شخصية الطفل.

خامسا: إزالة الهواجس لدى الطفل تجاه الوالدين:

الأطفال أذكى مما نتصور ومما نعتقد وهم كثيرو الملاحظة والاستنتاج وكثيرًا ما تختلج ركونهم هواجس تضايقهم وتزعزع استقرارهم النفسي، أكثر الأسباب الموجبة لذلك شعور الطفل بأن والديه لا يعدلان في المعاملة بين أبنائهم، والعدالة ليس المقصود بها فقط العدل في توزيع الأموال والنواحي المادية، لكن لا شك أنه يدخل فيها أيضًا العدالة في العواطف واظهار المحبة والتودد. فإذا شعر الطفل بعدم العدالة في هذه الناحية فإنه يتولد لديه مشاعر القلق والتوتر، كما يترتب عليها بعض الظواهر، مثل: العناد المفرط أو الاستسلام تمامًا فتراه ينطوي وينزوي ويحس أن به دونية ويُعامَل بدونية ليس كباقي إخوته، وبجانب هذا يكون سببًا من أسباب وقوع الضغائن والعداوة والكراهية والحقد والحسد بينهم.

سادسا: العناية الخاصة لـ «الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة»:

إذا كان هناك طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة- وهذا تعبير مهذب شائع إلى الآن بدل التعبير القديم «الطفل المعوق» سواء إعاقة ذهنية أو عقلية أو إعاقة بدنية- ينبغي أن نوليه اهتماما زائدا وعناية خاصة ومحبة كبيرة نجبر بها كسره ونقصه.

سُئلت امرأة: أي أبنائك أحب إليك؟ قالت: صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يُشفى وغائبهم حتى يعود، ويدخل في هذا أيضًا الطفل اليتيم والطفل صاحب الإعاقة الدائمة.
(انظر: محاضرات محو الأمية التربوية ٧/٨).
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

شمائل نبينا صلى الله عليه وسلم

إعداد **الشيخ صلاح نجيب الدق**

فرع بلبيس

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمِينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نَبِيِّنا محمَّدٍ وعلى آلِه وصَحْبِه أجْمعِينَ.

وبعد: فإنَّ لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم شمائل كثيرة، وسوف نذكر بعضها:

(١) اسم محمد

مُحَمَّدٌ: مَأْخُوذٌ منَ الحَمْد، وَهُوَ الثَّناءُ على المَحْمُود، بِذِكْرِ الصفات الفاضلة، ومحبته وتعظيمه. (جلاء الأفهام- لابن القيم- ص١٧١).

اسْمُ مُحَمَّدٍ: يَعْنِي: الإنسانُ الكاملُ، ذُو الخِصَالِ الحميدة، المَرْضِيَّ عنه في أقواله وأفعاله، المحمود عند الله، وعند عباده المؤمنين.

(٢) طهارة جميع نسب نبينا صلى الله عليه وسلم

جميعُ نَسَبِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم طاهر وشريف، وليس فيه شيءٌ مِنْ سِفَاحِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، مِنْ لَدُن آدَمَ صلى الله عليه وسلم إلى ميلاد نبينا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعَنْ عَلِيِّ بْنِ أبي طالب، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُن آدمَ، إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، وَلَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ. (صحيح الجامع للألباني- حديث ٣٢٢٥).

(٣) بشرية نبينا صلى الله عليه وسلم

نبينا صلى الله عليه وسلم عَاشَ ومَرِضَ ومَاتَ مثل أي إنسان، فمَن زَعَمَ أنه صلى الله عليه وسلم خُلِقَ من نور الله، أو مِنْ نور العرش فقد

كَذَبَ القرآن. قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا) (الكهف: ١١٠).

(٤) صفات نبينا صلى الله عليه وسلم الجسمية

كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم أبيض مليح الوجه، إذا ابتسم استنار وجهه، كأنه القمر ليلة البدر. (صحيح البخاري: ٣٥٤٩، ومسلم: ٢٣٣٨)

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ (الْمُفرط طُولاً) وَلاَ بِالْقَصِيرِ، وَلاَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ (الخالص) وَلَيْسَ بِالآدَمِ (الشديد السُّمرة)، وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ (شديد الخشونة)، وَلاَ بِالسَّبْطِ (المُسْتَرْسِل) (صحيح البخاري: ٣٥٤٨).

(٥) شيب شعر نبينا صلى الله عليه وسلم

مَاتَ النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ. (صحيح البخاري: ٣٥٤٨).

(٦) رائحة نبينا صلى الله عليه وسلم

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا، وَلاَ دِيبَاجًا، أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، وَلاَ شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ، أَوْ عَرْفًا (نوعاً من الطيب) قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ، أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم. (صحيح البخاري: ٣٥٦١).

(٧) طيب عرق نبينا صلى الله عليه وسلم

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ، صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ (نام وقت الظهيرة) عِنْدَنَا، فَعَرِقَ وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ (تَمْسَح) الْعَرَقَ فِيهَا فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ. (صحيح مسلم: ٢٣٣١).

(٨) حياء نبينا صلى الله عليه وسلم

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا. (صحيح البخاري: ٣٥٦٢).

(٩) صوت نبينا صلى الله عليه وسلم

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقْرَأُ: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) فِي الْعِشَاءِ، وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ أَوْ قِرَاءَةً. (صحيح البخاري: ٧٦٩، ومسلم: ٤٦٤).

(١٠) صفة ضحك نبينا صلى الله عليه وسلم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا كَانَ ضَحِكُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلاَّ تَبَسُّمًا. (مختصر الشمائل المحمدية- للألباني- ص١٢١).

(١١) نبينا صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب إلا بإذن الله

أمور الغيب لا يعلمها إلا الله سُبحانَهُ وتَعالى، فلا يعلمها ملكٌ مُقربٌ ولا نبيٌ مُرسَل، ولذا فإن نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم من أمور الغيب شيئاً، إلا بما أَوْحَاهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إليه. قال تَعَالَى مخاطباً نبينا صلى الله عليه وسلم (قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأعراف: ١٨٨).

(١٢) رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الخلق

بَعَثَ الله تعالى نبينا محمداً، صلى الله عليه وسلم، لجميع الخَلْق (الجن والإنس) فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، ولا نبي بعده، صلى الله عليه وسلم، إلى يوم القيامة. قال الله تعالى:

(تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا) (الفرقان: ١)، وقال سُبْحانَهُ: (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا) (الأحزاب: ٤٠).

(١٣) ما اختص الله به نبينا صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأنبياء

(أ) نُصرةُ الله لنبينا صلى الله عليه وسلم، بقذف الرعب في قلوب أعدائه مسيرة شهر.

(ب) جعل اللهُ سُبْحانَهُ وتعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم الأرض مسجدًا وطهورًا.

(ج) أحلَّ اللهُ سُبْحانَهُ وتعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم الغنائم، ولم يُحلّها لأحد قبله.

(د) أعطى الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود.

(هـ) بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم للناس عامة، وكان كلُّ نبي يبعثه الله إلى قومه خاصة. (صحيح البخاري: ٣٥٥، ومسلم: ٥٢١).

(١٤) ابتلاء نبينا صلى الله عليه وسلم

كان نبينا محمد صلّى الله عليْه وسلّم، أشد الأنبياء ابتلاءً وتحملاً للأذى في سبيل الدعوة إلى الله تعالى؛ فعنْ أنس بْن مالك قال: قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: لقدْ أُخفْتُ في الله وما يخافُ أحدٌ، ولقدْ أُوذيتُ في الله وما يُؤْذى أحدٌ. ولقدْ أتتْ عليّ ثلاثُون منْ بيْن يوْم وليْلة وما لي ولبلال طعامٌ يأْكُلُهُ ذُو كبد إلاّ شيْءٌ يُواريه إبْطُ بلال. (صحيح الترمذي للألباني: ٢٠١٢).

(١٥) صفة صلاة نبينا صلى الله عليه وسلم

عنْ أنس قال: ما صلّيْتُ وراء إمام قطُّ أخفّ صلاةً، ولا أتمّ من النّبيّ صلّى الله عليْه وسلّم، وإنْ كان ليسْمعُ بُكاء الصّبيّ، فيُخفّفُ مخافة أنْ تُفْتن أُمُّهُ. (البخاري: ٧٠٨).

(١٦) اجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في العبادة

عنْ عائشة أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقُومُ من اللّيْل حتّى تتفطّر قدماهُ فقالتْ عائشةُ: لم تصْنعُ هذا يا رسُول الله وقدْ غفر اللهُ لك ما تقدّم منْ ذنْبك وما تأخّر؟ قال: أفلا أُحبُّ أنْ أكُون عبْدًا شكُورًا. (البخاري حديث ٤٨٣٧).

(١٧) نبينا صلى الله عليه وسلم في بيته

عنْ عُرْوة بن الزُّبيْر رضي الله عنْهما. قال: سأل رجُلٌ عائشة هلْ كان رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يعْملُ في بيْته شيْئًا؟ قالتْ: نعمْ. كان رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يخْصفُ نعْلهُ ويخيطُ ثوْبهُ ويعْملُ في بيْته كما يعْملُ أحدُكُمْ في بيْته. (حديث صحيح- مسند أحمد ج٤٢- ص٢٠٩).

(١٨) زهد نبينا صلى الله عليه وسلم في الدنيا

عنْ عُروة، عنْ عائشة رضي الله عنْها، قالتْ لعُرْوة: ابْن أُخْتي: كُنّا لننْظُرُ إلى الهلال، ثُمّ الهلال، ثلاثة أهلّة في شهْريْن، وما أُوقدتْ في أبْيات رسُول الله صلى الله عليه وسلم نارٌ. فقُلْتُ: يا خالةُ: ما كان يُعيشُكُمْ؟ قالتْ: الأسْودان: التّمْرُ والماءُ، إلاّ أنّهُ قدْ كان لرسُول الله صلى الله عليه وسلم، جيرانٌ من الأنْصار، كانتْ لهُمْ منائحُ (الناقة أو الشاة) وكانُوا يمْنحُون رسُول الله، صلى الله عليه وسلم، منْ ألْبانهمْ، فيسْقينا. (البخاري: ٢٥٦٧، ومسلم: ٢٩٧٢).

(١٩) شجاعة نبينا صلى الله عليه وسلم

عنْ أنس بْن مالك رضي اللهُ عنْهُ قال: كان رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أحْسن النّاس وكان أجْود النّاس، وكان أشْجع النّاس، ولقدْ فزع أهْلُ المدينة ذات ليْلة فانْطلق ناسٌ قبل (نحو) الصّوْت فتلقّاهُمْ رسُولُ الله صلّى الله عليْه وسلّم، راجعًا وقدْ سبقهُمْ إلى الصّوْت وهُو على

فرس لأبي طلْحة عُرْي(ليْس عليْه سرْجٌ)، في عُنقه السَّيْفُ وهُو يقُولُ لمْ تُراعُوا (لا تخافوا) لمْ تُراعُوا. (صحيح مسلم: ٢٣٠٧).

(٢٠) نبينا صلى الله عليه وسلم يحثنا على طلب العلم

عنْ أبي هُريْرة رضي اللهُ عنْهُ قال: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: منْ سلك طريقًا يلْتمسُ فيه علْمًا سهّل اللهُ لهُ به طريقًا إلى الجنَّة وما اجْتمع قوْمٌ في بيْت منْ بُيُوت الله يتْلُون كتاب الله ويتدارسُونهُ بيْنهُمْ إلاَّ نزلتْ عليْهمُ السَّكينةُ وغشيتْهُمُ الرَّحْمةُ وحفّتْهُمُ الملائكةُ وذكرهُمُ اللهُ فيمنْ عنْدهُ ومنْ بطّأ به عملُهُ لمْ يُسْرعْ به نسبُهُ. (صحيح مسلم: ٢٦٩٩).

(٢١) نبينا صلى الله عليه وسلم يحثنا على العمل

عن الزُّبيْر بْن العوّام، رضي اللهُ عنْهُ، عن النّبيّ صلّى اللهُ عليْه وسلّم، قال: لأنْ يأْخذ أحدُكُمْ حبْلهُ، فيأْتي بحُزْمة الحطب على ظهْره، فيبيعها، فيكُفّ اللهُ بها وجْههُ، خيْرٌ لهُ منْ أنْ يسْأل النّاس، أعْطوْهُ أوْ منعُوهُ. (البخاري: ١٤٧١).

(٢٢) حرص نبينا صلى الله عليه وسلم على وحدة الأمة

عن ابْن عبّاس، رضي اللهُ عنْهُما، عن النّبيّ صلّى اللهُ عليْه وسلّم قال: منْ رأى منْ أميره شيْئًا يكْرهُهُ فلْيصْبرْ عليْه فإنّهُ منْ فارق الْجماعة شبْرًا فمات إلاّ مات ميتةً جاهليّةً. (صحيح البخاري: ٧٠٥٤، ومسلم: ١٨٤٩).

(٢٣) نبينا صلى الله عليه وسلم يوصينا بالمواساة والتكافل

عن النُّعْمان بْن بشير، رضي اللهُ عنْهُما، قال: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: مثلُ الْمُؤْمنين في توادّهمْ وتراحُمهمْ وتعاطُفهمْ مثلُ الْجسد إذا اشْتكى منْهُ عُضْوٌ تداعى لهُ سائرُ الْجسد بالسّهر والْحُمّى. (مسلم: ٢٥٨٦).

(٢٤) نبينا صلى الله عليه وسلم يوصينا بالثقة برزق الله

عنْ أبي أُمامة الباهلي، رضي اللهُ عنْهُ، قال: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنّ رُوح الْقُدُس (جبريل) نفث (ألقى) في رُوعي (قلبي) أنّ نفْسًا لنْ تمُوت حتّى تسْتكْمل أجلها وتسْتوْعب رزْقها فأجْملُوا في الطّلب ولا يحْملنّ أحدكُمُ اسْتبْطاءُ الرّزْق أنْ يطْلُبهُ بمعْصية، فإنّ الله لا ينالُ ما عنْدهُ إلاّ بطاعته. (حديث صحيح- صحيح الجامع- للألباني: ٢٠٨٥).

(٢٥) نبينا صلى الله عليه وسلم القدوة في العدل

عنْ عائشة رضي اللهُ عنْها، أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: إنّما أهْلك الّذين قبْلكُمْ أنّهُمْ كانُوا إذا سرق فيهمُ الشّريفُ تركُوهُ، وإذا سرق فيهمُ الضّعيفُ أقامُوا عليْه الْحدّ، وايْمُ الله لوْ أنّ فاطمة بنْت مُحمّد سرقتْ لقطعْتُ يدها. (صحيح البخاري: ٣٤٧٥، ومسلم: ١٦٨٨).

(٢٦) وصية نبينا صلى الله عليه وسلم بحسن معاملة غير المسلمين

عنْ صفْوان بْن سُليْم عنْ عدّة منْ أبْناء أصْحاب رسُول الله صلّى اللهُ عليْه وسلّم عنْ آبائهمْ عنْ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا منْ ظلم مُعاهدًا، أو انْتقصهُ، أوْ كلّفهُ فوْق طاقته، أوْ أخذ منْهُ شيْئًا بغيْر طيب نفْس فأنا حجيجُهُ (خصمه) يوْم الْقيامة (صحيح أبي داود للألباني: ٢٦٢٦)

وآخرُ دعْوانا أن الحمْدُ لله ربّ الْعالمين، وصلّى اللهُ وسلّم على نبيّنا مُحمّد، وعلى آله، وأصْحابه، والتّابعين لهُمْ بإحْسان إلى يوْم الدّين.

لمحةٌ عن خصائص القرآنِ الكريم

إعداد **أ. د محمد حامد** الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين أمَّا بعدُ: فقد حدَّثتك أيها القارئ الكريم- هداني الله وإياك صراطه المستقيم- في مقالة الشهر الماضي عن فقه التعامل مع القرآن الكريم وقلت لك: إنه حقيق بكلِّ متحدثٍ عن القرآن الكريم أو ناظرٍ فيه أن يستحضر خصائصه، ويُراعي صفاته وقدسيته حتى يسلم من الزلل، والوقوع في سوء التعامل مع القرآن الكريم.

وقد ذكرت لك سابقا بعض هذه الخصائص القرآنية وهي على النحو الآتي:

أولا: القرآن الكريم إلهي المصدر والنِّسبة.

ثانيًا: القرآن الكريم وحي من الله إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه.

ثالثا: قدسية القرآن الكريم ذاتية لا مُضافة عليه.

رابعا: القرآن الكريم محفوظ كله بحفظ الله له من التبديل أو الزيادة أو النقصان.

وفي هذه المقالة نستكمل الحديث عن خصائص القرآن الكريم فإليك البيان:

خامسا: من خصائص القرآن الكريم أن إعجازه ذاتي، وعامٌّ في جميع سوره.

جمع القرآن الكريم بين كونه المنهج الذي جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه، والمعجزة التي تدل على صدقه فالمنهج هو المعجزة، والمعجزة هي المنهج.

ومجالات الإعجاز في القرآن كثيرة ومتنوعة، وهي ذاتية فيه، ولا يصح دعوى أن الإعجاز

لم يقع إلا بشيء خارج عنه، وهو صرف الله الناس عن معارضته، وسلبه قدرتهم على ذلك، وأنه لولا ذلك لقدروا على معارضته، والإتيان بمثله؛ لأن الله تعالى قال: « قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا » (الإسراء: ٨٨) فأشار في ذلك إلى أمر طريقه التكلف والاجتهاد، وسبيله التأهب والاحتشاد، وهذا دال على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو زالت القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم، لتنزيله منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون غيره معجزا وليس فيه صفة إعجاز؟! بل المعجز هو الله تعالى، حيث سلبهم قدرتهم عن الإتيان بمثله(ينظر: بيان إعجاز القرآن للإمام الخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٢٣، والبرهان في علوم القرآن(٢ / ٩٤)).

وقال تعالى: « وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ » (العنكبوت: ٥٠، ٥١) فأخبر سبحانه أن الكتاب آية من آياته، وأنه كاف في الدلالة قائم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الأنبياء، ولو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون المنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضلا على غيره في نفسه. (ينظر: إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني ص٣٠).

ومع فساد القول بالصرفة فهناك من استعمل هذا المذهب على سبيل التنزل مع الخصم لإثبات الإعجاز، وأن القرآن من عند الله رب العالمين لا من عند جبريل عليه السلام، أو محمد عليه الصلاة والسلام، أو غيرهما.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٠١): "وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة، فقال: إن كان هذا القرآن معجزا في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله ولا في قواهم معارضته، فقد حصل المدعى وهو المطلوب، وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له، كان ذلك دليلا على أنه من عند الله؛ لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك، وهذه الطريقة وإن لم تكن مرضية لأن القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته، كما قررنا، إلا أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق......".

ويلاحظ أن الجميع متفق على أن القرآن من عند الله رب العالمين، وأن الخلق عاجزون عن الإتيان بمثله، وأنه لا يمكن فصل القرآن عن مصدره خلافا للحداثيين ومن نحا نحوهم، واقتفى أثرهم.

هذا، وليُعلم أن إعجاز القرآن بنظمه البديع، وبلاغته العالية، وفصاحته الفائقة، وأسلوبه العجيب – وهو الوجه الذي وقع به التحدي للعرب إبان نزول القرآن-ضارب بجذوره في آيات القرآن، وسوره، غير منفك عنه لا فرق في ذلك بين آيات الأحكام، وغيرها، وسوره القصيرة، والطويلة.

وقد سُئل بعض العلماء عن موضع الإعجاز من القرآن فقال: "هذه مسألة فيها حيف على المفتي وذلك أنه شبيه بقولك ما موضع الإنسان من الإنسان فليس للإنسان موضع من الإنسان، بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته، ودللت على ذاته، كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء

منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله"(ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢/١٠٠)).

سادسا: القرآن الكريم رسالة عالمية ودائمة وهو تشريع للزمن كله.

من خصائص القرآن التي لم تتحقق لغيره من الكتب السماوية: أنه رسالة عالمية دائمة، خاتمة، ومن خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم:" وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً". (أخرجه البخاري في صحيحه حديث٣٣٥، ومسلم في صحيحه حديث٥٢١)، وقد قال الله جلّ ذكره: « قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » (الأعراف: ١٥٨)، وقال تعالى: «تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا » (الفرقان: ١)؛ ولذا فقد جاء القرآن الكريم بتعاليم، وتشريعات تصلح للزمن كله، والعالم أجمع، لا لزمان محدود، أو جيل مخصوص، ولهذا كان القرآن خاتم الكتب السماوية، وله عليها الهيمنة قال تعالى: « وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ » (سورة المائدة: ٤٨).

والقرآن الكريم حين نزل بعضه مرتبطا ببعض الوقائع، والأحداث لا لأنها علة له، ولكن ليظهر بذلك أثره في الواقع الذي نزل فيه، والا فإن الآيات القرآنية لا تخص بأسبابها، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على الصحيح وهو مذهب جمهور العلماء؛ لأن اللفظ العام شامل للسبب وغيره مما يندرج تحت اللفظ العام، وخصوص السببْ لا يستلزم إخراج غير السبب من متناول اللفظ، فلا يصلح صارفا عن استعمال العام في معناه الموضوع له، وهو أفراده التي منها صورة السبب وغيره. (ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/١٢٧/١٣٤)).

ومن ذهب من أهل العلم إلى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ لم يقصد بذلك قصر الآية على صورة سببها، وانما يرى دخول ما يوافقها في حكم الآية لكن لا من لفظ الآية، وانما بالقياس عليها، ولم يدَّع واحد منهم أن القرآن تاريخي خاص بزمان مخصوص؛ إذ القول بذلك يلزم منه تعطيل العمل بأحكام القرآن، وكونه مرجعا للناس في أمور دينهم، وفيه نقض لما تقدم من عالمية القرآن، وصلاحيته لكل الناس الذين كثر نداؤهم في القرآن الكريم.

ولا ينبغي أن تغفل أيها الموفق أن من أشهر الدعاوى التي رددها معظم الحداثيين القول بتاريخية القرآن الكريم، وأنه نزل متأثرا بزمانه وواقعه، فهو منتج ثقافي على حد تعبير بعضهم، ولا يصلح لكل زمان، وأحكامه نسبية غير مستقرة.

وما من شك أن هذه دعوى خطيرة، يترتب عليها آثار خبيثة كنقض مسلمة:" صلاحية الهدي القرآني لكل زمان ومكان"، واضفاء التاريخية على العقائد، واضفاء النسبية على الأحكام، وتجديد الدين على طريق غلاة الحداثية ويلزم منه التشريع لدين جديد؛ ولذا فقد انبرى كثير من العلماء لنقضها، وبيان بطلانها، ولعلي أعرض لهذه الدعوى مفندا شبهاتها، وناقضا لترهاتها في موضع آخر بإذن الله تعالى.

إن القرآن الكريم نزل ليكون بأحكامه الثابتة على مرّ الزمن ميزانا ومعيارا للواقع الإنساني، يصلحه كلما فسد، ويهديه كلما مال إلى الباطل.

سابعا: القرآن الكريم واضح ومُيسّر، وذو ألفاظ ومعانٍ مقصودة

حينما نقول: إن القرآن الكريم ذو قدسية وعظمة لا يعني ذلك إقصاء الناس عنه، أو

ادعاء تعذر فهمه، أو أنه نص مغلق كما يُزعم بل إنه مع قدسيته واضح وبين، وميسر قال تعالى:: « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ » (القمر:١٧)، وقال تعالى: « وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ » (الشعراء:١٩٢-١٩٥). وقال تعالى: « الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ » (يوسف: ١). ولذا أمر الله بتدبره، وتفهم معانيه، ولو كان عسيرا غامضا ما حسن تكليف عموم الناس بتدبره، وتعقل معانيه قال تعالى: « كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ » (ص: ٢٩).

والذي ينبغي مراعاته إبقاء الواضح على وضوحه، لا أن يدعى أن اللفظ غير مراد، والمعنى غير مقصود، وأن لكلّ قارئ ذاتيته في القراءة، وأن المعاني القرآنية نسبية غير ثابتة، حتى يتسنى الوصول إلى رمزية، وإيحاءات لا برهان عليها، ولا دليل.

صحيح أن الناس متفاوتون في تفهم معاني القرآن الكريم، وصحيح أيضا أن دلالات الألفاظ متفاوتة فهناك اللفظ الذي لا يحتمل إلا معنى واحدا وهو النص، وما يحتمل معنيين أحدهما أرجح من الآخر وهو الظاهر، وهناك المحكم والمتشابه، والمشترك اللفظي وغير ذلك مما هو معروف لدى أهل العلم، لكنّ ذلك كله لا يعني أن معاني القرآن نسبية يفهم منه الشخص المعنى ويفهم غيره نقيضه كلٌ كما يشتهي، إذ لو كان الأمر كذلك فما معنى قول الله تعالى: « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا » (النساء: ٨٢) وقد قيل فيها: إنها تحدٍّ من الله تعالى لهؤلاء بمعاني القرآن، كما تحداهم بألفاظه (ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور(١٣٧/٥)).

إن القرآن معجز في معناه، كما أنه معجزٌ في لفظه، فلا يليق أن يفهم على معنى غير لائق بمكانه، وجلاله.

قال ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد (٢٧/٣): " للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه، فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ، وأجلها وأفصحها ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين، فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم...".

هذه بعض خصائص القرآن الكريم التي علينا أن نستحضرها حين نقرأ القرآن الكريم، وعندما نستلهم الهدى منه، ونحاول فهمه، والوصول إلى مراد الله عز وجل منا بقدر ما لدينا من طاقات بشرية.

وقد ضلت أفهام وزلت أقدام فغابت عنهم تلك الخصائص فلم يراعوها في قراءة القرآن وتفسيره بله العمل به، والاهتداء بإرشاداته فضلوا وأضلوا وزعموا أن معهم قراءات جديدة للقرآن الكريم، وحقيقة الأمر أن ما يرددونه هدم وتبديد، لا بناء وتجديد، ولعل لنا معهم وقفات ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة، ولتستبين سبيل المجرمين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

مِنْ نور كتاب الله

النهي عن الشرك

قال الله تعالى: "قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا" (الكهف: ١١٠).

من دلائل النبوة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نَعى رسول الله زَيْدًا، وجَعْفَرًا، وابْنَ رَواحَة للنّاس، قَبْلَ أنْ يأتيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فقال أخَذَ الرّايةَ زَيْد، فأُصيب، ثُمَّ أخَذَ جَعْفَرٌ فأُصيبَ، ثُمَّ أخَذَ ابنُ رَواحَة فأُصيب، وعَيْناهُ تَذْرِفان، حتّى أخَذ سَيْفٌ من سُيوف الله حتّى فتَحَ الله عليهم

(صحيح البخاري: ٣٧٥٧) وسيف الله هو خالد بن الوليد رضي الله عنه

من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم

حرمة دماء ومال المسلم

قالَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَن وحّدَ الله، وكفَرَ بما يُعْبَدُ من دونه، حرَّمَ الله مالَه ودَمَه، وحسابُه على الله عز وجل» (صحيح مسلم: ٢٣).

من عقائد الشيعة الباطلة

من أقوال الشيعة التي تخالف عقيدة المسلمين قولهم: بأن كربلاء أقدس بقعة في الإسلام، وأعظم من مكة والمدينة وبيت المقدس. (كتاب مصابيح الجنان ص٣٦٠).

مِن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى على الجنازة قال: «اللهمَّ اغفرْ لحَيِّنا ومَيِّتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأُنثانا. اللهمَّ مَنْ أحيَيْتَه منّا فأَحْيِه على الإسلام، ومَن توفَّيْتَه منّا فتوفَّه على الإيمان» (صحيح أبي داود: ٣٢٠١).

من فضائل الصحابة

عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبو بكر وعمر سيِّدَا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين: لا تُخبرهما يا عليُّ ما داما حيَّيْن" (سنن ابن ماجه: ٩٥ وصححه الألباني).

من تفاسير السلف

قال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»: يعني: هو الواحد، الأحد، الذي لا نظير له، ولا وزير، ولا نديد، ولا شبيه، ولا عديل. ولا يُطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله -عز وجل-؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله. (تفسير ابن كثير).

اعداد: علاء خضر

مواقع التواصل

خلوتك ببرامج التواصل الاجتماعي تعني أنك قد دخلت مرحلة الابتلاء والاختبار، والشواهد ستشهد، والسمع والبصر والجلود شهود.

حكم ومواعظ

قال محمد ابن الحنفية رحمه الله تعالى: «الكمال في ثلاثة: العفة في الدين، والصبر على النوائب، والاقتصاد وحسن التدبير في المعيشة» (أدب الدنيا والدين للماوردي)

الرجوع إلى الله تعالى سبب لرفع البلاء

قال ابن القيم: "قال مالك بن دينار: قرأت في الحكمة يقول الله -عز وجل-: «أنا الله مالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم». (الجواب الكافي).

من أقوال السلف

قال أبو جعفر الطحاوي -رحمه الله تعالى- في الطحاوية: «دين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن واليأس». (العقيدة الطحاوية).

من حكمة الشعر

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى:

حقّ الإله عبادة بالأمر لا
بهوى النّفوس فذاك للشّيطان
من غير إشراك به شيئاً هما
سبب النّجاة فحبذا السّببان

(القصيدة النونية)

السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم

إعداد **د. عبد الرحمن فودة**
أستاذ البلاغة بجامعة القاهرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمةً للعالمين.

وبعدُ: فقد بيَّنَّا في سلسلة من المقالات السابقة دور السياق في تنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم، وسُقنا على ذلك أمثلة تحليلية تبيِّن المراد. وأخيرًا نختم هذه المقالات ببيان بعض أوصاف العذاب الأخروي التي ترد في سياق واحد متتابعة، سواء كانت وصفين أم ثلاثة أوصاف.

ومن ذلك قول الله تعالى في سورة آل عمران:

«وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ» (آل عمران: ١٧٦- ١٧٨).

فالآيات الثلاث فيها تنوع في وصف العذاب بأوصاف مختلفة (عظيم- أليم- مهين)، وكل وصف مناسب لسياقه، فالعذاب العظيم في سياق المسارعة في الكفر، والمسارعة في الشيء

والمبادرة في تحصيله تقتضي أن يكون نفيسًا وعظيمًا، فجعل جزاءه (عذاب عظيم) مقابلاً لهم، ويدل على خساسة ما سارعوا فيه وهو الكفر، ولذلك قال تعالى: «يُرِيدُ اللّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ»؛ لأنهم كانوا يبحثون عن الحظ في الدنيا.

- كما كان قارون كذلك؛ حيث قال قومه: «إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» (القصص: ٧٩)؛ فكما أنهم لا حظ لهم ألبتة في منافع الآخرة، فلهم الحظ العظيم في مضارّها وآلامها.

أما وصف الأليم، فحيث تضمّنت الآية اشتراءهم الكفر بالإيمان، والعادة سرور المشتري واغتباطه بما اشتراه، فإذا خسر تألم، فخُتمت الآية بألم العذاب، كما يجد المشتري المغبون ألم الخسارة.

وخُتمت الآية الثالثة بعذاب مهين؛ لأنها تضمن الإملاء، وهو الإمتاع بطيبات الدنيا وزينتها-المال-، وذلك يقتضي التعزز والتكبر والجبروت، فخُتمت بما يقتضي إهانتهم وذلّتهم بعد عزّهم وتكبرهم.

وفي آيات سورة الجاثية؛ قال الله تعالى: «وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩) مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ» (الجاثية: ٧-١١).

هذا الموطن من مواطن تعدُّد صفات العذاب في صُوَر متعاقبة، وقد جاء الوصف الأول (عذاب أليم) عقب ذكْر الأفاك الأثيم الذي يسمع آيات الله تُتلى عليه ثم يُصر مستكبرًا كأن لم يسمعها، فبُشّر بعذاب أليم مُتناهٍ في الألم وهو أقسى أنواع العذاب؛ لتكذيبه وإفكه واستكباره، وهو (العذاب الأليم) الأكثر ترددًا في القرآن، وهو غالبًا ما يكون للكافرين والمنافقين.

ثم جاء الوصف (مهين) في سياق أنه إذا علم من آيات الله شيئًا اتخذها هزوًا، فلما كان مستهزئًا بآيات الله -وهو على علم بها- كان المناسب أن يُوصف عذابه بالمهين امتهانًا له وتحقيرًا، فصار العذاب نفسه مهينًا لصاحبه.

ثم جاء الوصف (عظيم) للدلالة على بلوغه أقصى درجات الإضرار بالمعذب؛ فجمع بين الألم بشقيه-الحسي والنفسي-، ثم المهانة والمذلة، ثم كَبُر العذاب وبلغ الدرجة القصوى حيث لا يجد المعذب راحة أبدًا.

لعلنا نلاحظ-في هذا السياق- أن أوصاف العذاب مختلفة لينال كل مُعذّب ما يناسبه، وكأن الناس درجات فيما يستحقون من تعذيب، فبعضهم قد يردعه عذاب بدرجة معينة، وبعضهم لا يرتدع إلا بعذاب أشد أو أقسى أو أكثر إهانة لصاحبه.

وفي سورة المجادلة؛ قال الله تعالى: «فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ» (المجادلة: ٤-٥).

لما قال (كُبتُوا)-والكبت هو الإذلال والإهانة- ناسبه أن تُختم الآية بعذاب مهين؛ فالجزاء من جنس العمل.

والله أعلى وأعلم.

محبة النبي صلى الله عليه وسلم من أصول الإيمان

إعداد **د . محمد عبد العزيز**

رئيس فرع العاشر

«ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ» (سبأ: ١)، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، ومن تبعه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن محبة النبي صلى الله عليه وسلم أصل عظيم من أصول الإيمان، وقاعدة من أجلَ قواعده، وهي أعظم الواجبات المتحتمات على العباد التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، وهي مقارنة لمحبة الله عز وجل، بل قد قرن الله تعالى محبة رسوله بمحبته، ثم توعَّد مَن قدَّم شيئًا من المحابَ على هذه المحبة؛ قال الله تعالى: «قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ» (التوبة: ٢٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (أخرجه البخاري: ح١٥، ومسلم: ح٧٨).

قال الحافظ زين الدين ابن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) في كتابه: فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٤٨): «محبة النبي صلى الله عليه وسلم من أصول الإيمان، وهي مقارنة لمحبة الله عز وجل، وقد قرنها الله بها، وتوعَّد مَن قدَّم عليها شيئًا من الأمور المحبوبة طبعًا من الأقارب والأموال والأوطان، وغير ذلك».

والمقصود من المحبة المحققة للإيمان هنا المحبة الاختيارية التعبدية، فيحب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه رسول الله الذي أرسله بدينه الخاتم، وهذه المحبة التامة مستلزمة للتصديق والاتباع وتقتضي طاعته صلى الله عليه وسلم فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه، قال الله تعالى: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ » (آل عمران: ٣١- ٣٢).

وهذه المحبة الإيمانية التعبدية الاختيارية نافعة لصاحبها يوم القيامة؛ فهي مقتضية لرفع الدرجات. فعن أنس-رضي الله عنه-: «أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: متى الساعة قائمة؟

قال: ويلك، وما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله. قال: إنك مع من أحببت. فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: نعم». وللبخاري زيادة: «ففرحنا يومئذ فرحًا شديدًا».

وفي رواية للشيخين: قال أنس: «فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحُبّي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم» (أخرجه البخاري ح٦١٦٧، ومسلم ح٦٨٠٦).

المحبة الدنيوية الخالصة:

ليست المحبة الإيمانية الاختيارية التعبدية المقصودة هنا هي محبة الطبع المجرد عن الإيمان والتصديق والقبول والإذعان. فمحبة الطبع تقع في القلوب للرحم أو لسبب من الأسباب كحسن عشرة أو سبق يد، أو إعجاب بعمل، أو صنيع، أو محبة الصورة فتلك المحبة من محابّ الدنيا.

وهذه المحبة ليست من الإيمان ولا تُنجّي صاحبها يوم القيامة وإن كان صاحبها عالمًا بصدق رسالته صلى الله عليه وسلم تصديقًا لا يؤدي للإذعان والاتباع.

ومن أمثلة تلك المحابِ الدنيوية: محبة أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم ونصرته له وحمايته لجنابه صلى الله عليه وسلم؛ لأنه ابن أخيه فأحبه للقرابة ولما له من الصفات التي يحب ويقدم لأجلها؛ فإنها من محاب الدنيا وليست من المحبة التعبدية الإيمانية المُنجّية لصاحبها بدلالة ترك أبي طالب للإيمان لمّا طلبه صلى الله عليه وسلم منه عند موته.

وقد حفظ النبي صلى الله عليه وسلم تلك اليد لعمه حتى همّ بالاستغفار له بعد موته على الشرك حتى نهاه الله تعالى. فعن المسيب-رضي الله عنه- قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عم: قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب؟

فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك. فأنزل الله عز وجل: « مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ » (التوبة: ١١٣). وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ » (القصص:٥٦)» (أخرجه البخاري ح١٣٦٠، ومسلم ح٤١، واللفظ له).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (٢٣٤/٥): «وأبو طالب وإن كان عالمًا بأن محمدًا رسول الله وهو مُحبّ له فلم تكن محبته له لمحبته لله، بل كان يحبه لأنه ابن أخيه فيحبه للقرابة، وإذا أحب ظهوره فلما يحصل له

بذلك من الشرف والرئاسة؛ فأصل محبوبه هو الرئاسة. فلهذا لما عرض عليه الشهادتين عند الموت رأى أن بالإقرار بهما زوال دينه الذي يحبه فكان دينه أحب إليه من ابن أخيه فلم يقر بهما. فلو كان يحبه لأنه رسول الله كما كان يحبه أبو بكر الذي قال الله فيه: «وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى» (الليل: ١٧- ٢١).
وكما كان يحبه سائر المؤمنين به كعمر وعثمان وعلي وغيرهم لنطق بالشهادتين قطعًا؛ فكان حبه (أي أبو طالب) حبًا مع الله لا حبًا لله، ولهذا لم يقبل الله ما فعله من نصر الرسول وموازرته؛ لأنه لم يعمله لله؛ والله لا يقبل من العمل إلا ما أُريد به وجهه».

ومن أمثلة ذلك أيضًا: نصرة المطعم بن عدي للنبي صلى الله عليه وسلم وادخاله إلى مكة في جواره بعد عوده من الطائف، حتى إنه دعا بنيه وقومه، وقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرتُ محمدًا.

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام.

فقام المطعم على راحلته، فنادى: يا معشر قريش: إني قد أجرتُ محمدًا، فلا يهجه أحد منكم.

فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الركن، فاستلمه، وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته ومطعم وولده مُحدقون به بالسلاح حتى دخل بيته.

وحفظ له النبي صلى الله عليه وسلم له تلك اليد حتى قال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حيًا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى، لتركتهم له» (أخرجه البخاري ح٣١٣٩).

ومع ذلك لم تكن تلك النصرة مُنجَية له عند الله؛ لأنها لأجل الدنيا وليست النصرة الإيمانية التعبدية.

وكذا محبة كثير من الناس للنبي صلى الله عليه وسلم في القديم والحديث، المحبة التي لا تقتضي الإيمان والتصديق والقبول والإذعان وان كان مبعثها الإعجاب فإنها ليست من الإيمان ولا هي منجية لصاحبها يوم القيامة، وسأضرب لذلك أمثلة على تلك المحبة والتوقير غير المنجي لصاحبه:

قال الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠) في كتابه الشهير: مقالة في المنهج: «نحن والمسلمون في هذه الحياة، ولكنهم يعملون بالرسالتين العيسوية والمحمدية، ونحن لا نعمل بالثانية، ولو أنصفنا لكنّا معهم جنبًا إلى جنب؛ لأن رسالتهم فيها ما يتلاءم مع كل زمان، وصاحب شريعتهم محمد عجز العرب عن مجاراة قرآنه وفصاحته، بل لم يأت التاريخ برجل أفصح منه لسانًا، وأبلغ منه منطقًا، وأعظم منه خُلقًا، وذلك دليل على ما يتمتع به نبي المسلمين من الصفات الحميدة، التي أهلته لأن يكون نبيًا في آخر حلقات الأنبياء، ولأن يعتنق دينه مئات الملايين من البشر».

وقال الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو في كتابه العقد الاجتماعي (طبع لأول مرة عام ١٧٦٢): «من الناس من يتعلم قليلاً من العربية، ثم يقرأ القرآن ولا يفهمه، ولو أنه سمع محمدًا يُمليه بتلك اللغة الفصحى الرقيقة، وذاك الصوت المقنع، المؤثر في شغاف القلوب، ورآه يؤكد أحكامه بقوة البيان، لخرَّ ساجدًا على الأرض وناداه: أيها النبي، يا رسول الله: خذ بأيدينا إلى مواقف الشرف والفخار، أو إلى مواقع التهلكة والأخطار، فنحن في سبيلك، نودّ الموت أو

الانتصار».

وقال الفيلسوف الإسكتلندي الشهير توماس كارليل (١٧٩٥ - ١٨٨١م) الحائز على جائزة نوبل، في كتابه "الأبطال": «لقد أصبح من أكبر العار على أيّ فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خدّاع مزوِّر. وإن لنا أن نحارب ما يُشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإن الرسالة التي أدّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنًا لنحو مائتي مليون من الناس. أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟! أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل هذا القبول، فما الناس إلا بُلْه مجانين.

فوا أسفا! ما أسوأ هذا الزعم، وما أضعف أهله، وأحقهم بالرثاء والرحمة!».

فكل هذا الإعجاب والاحترام والتوقير والذّبَ عن دين الإسلام وعن الرسول صلى الله عليه وسلم من هؤلاء وغيرهم لم يكن دافعًا لهؤلاء إلى الإيمان والإذعان والقبول للرسالة، ولا لنطقوا الشهادتين، وكانوا من هذه الأمة، وإنما هي محبة إعجاب دنيوي.

فكل محبة لا تقتضي التصديق الإذعاني، والقبول، والمتابعة فليست من الإيمان في شيء، وليست محبة تعبدية، وليست محبة منجِية لصاحبها، وليست هي المحبة التي تقتضي الصحبة في الجنة، قال الله تعالى: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ » (آل عمران: ٣١- ٣٢).

علامات تمام المحبة وكمالها:

من علامات تمام المحبة الإيمانية وكمالها: (١) طاعته فيما أمر به من الواجبات وذلك من كمال الإيمان الواجب.

(٢) الحرص على متابعته فيما أمر به من المستحبات.

(٣) الانتهاء عما نهى عنه من المعاصي والذنوب والموبقات.

(٤) التنزه عما نهى عنه من المكروهات، فإن ذلك دليل كمال الإيمان المستحب.

(٥) متابعته على ما جاء به شرعًا وترك الابتداع في الدين فإنه ركوب للهوى، واتباع لغير سبيله .

وهذه الأمور هي ميزان صدق المحبة: قال الله تعالى: «قُلْ إن كُنتُمْ تُحبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (آل عمران: ٣١)؛ وقال الحسن البصري: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: «قُلْ إن كُنتُمْ تُحبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ».

وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٣٢/٢): "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل مَن ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ» انتهى.

هذا ما يسره الله تعالى في هذا المقال، وإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى.

الحلقة 1

بدعة الاحتفال بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فقد جاء في حب النبي صلى الله عليه وسلم من النصوص ما لا يحتاج إلى إيضاح ولا بيان، ورأس ذلك ما روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" وفي الحديث الآخر "حتى أكون أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه".

والحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا لا يكون فرضًا فحسب، بل هو أحد أصلي الإيمان، فإن مبنى الإيمان وأساسه: حب الله وحب رسوله. فلن يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواها.

والحب حبَّان: حب وهمي خيالي، وحب يقيني حقيقي، أو حب كاذب، وحب صادق.

فالحب الوهمي الخيالي الكاذب: هو حب الجاهلين، الذين حُرموا من العلم بمعرفة محبوبهم على حقيقته، وصفاته التي تميزه عن غيره.

والحب اليقيني الحقيقي الصادق: هو حب العارفين الذين أوتوا العلم بمعرفة محبوبهم وصفاته، وخصائصه التي تميزه عن غيره، تمييزًا لا يقع معه وَهْمٌ ولا اشتباه.

ولطالما كان الحب الوهمي الخيالي هذا باب من أوسع أبواب الشيطان التي يدخل منها في القلب الزيغ والإلحاد والكفر والشرك؛ ويجعل هذا الجاهل من حيث لا يشعر ألد أعداء من يدعي حبه، وأشد الناس بغضًا له، ولصفاته ولخصائصه التي امتاز بها عن غيره.

والمثل قائم ملموس في النصارى الذين يزعمون ويقسمون جهد أيمانهم أنهم أشد الناس حبًا للمسيح عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه، ونحن وكل عاقل لا يمتري طرفة عين في أنهم أبغض الناس لعيسى، وأشد الخلق كراهية له، ولصفاته التي ميزه الله تعالى واختصه بها. ذلك أنهم جهلوا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وجهلوا حقيقته وما امتاز به؛ فكانوا من الضالين المضلين.

وما جرَّهم الشيطان إلى الغلو في عيسى وأمه، إلا

بزمام هذا الحب الوهمي الخيالي الكاذب، وما زال يقذف في قلوبهم من الأوهام والخيالات الكاذبة حتى قالوا إنه ابن الله، وإنه الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، أشركوهم معه في العبادة والتشريع، سبحان الله وتعالى عما يقول أولئك الظالمون علوًا كبيرًا.

ولا يشك عاقل في أن المسيح الذي يدعون له هذا الحب الوهمي الكاذب إنما هو شخص خيالي وهمي أيضًا لا حقيقة له في الوجود أصلا، وصورته في رءوسهم الخاوية، ورسمته في قلوبهم المظلمة الجاهلة يد الشيطان عدو عيسى، وعدو الأنبياء، وعدو الإنسان المبين.

أما عيسى الحقيقي: عبد الله ورسوله، الذي جعل الله ولادته آية على عظيم قدرته سبحانه، ومعجزة لإبطال ما ادعوه في ذلك العصر من التبحر في الطب، حتى فتنوا وفتنوا الناس بذلك.

هذا النبي الذي هو عيسى ابن مريم، الذي لم يقل لهم إلا ما أمره به الله: «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ» (المائدة: ١١٧) و«فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ» (آل عمران: ٥٠، ٥١)، فإن النصارى اليوم أشد عداوة له من اليهود، وهم أشد عيبًا له وشتمًا ممن رمى أمه السيدة الطاهرة مريم بالمنكر والزور، ولو أنه عاد اليوم لكان أول من يحاربه ويرفع السيف في وجهه هؤلاء النصارى الواهمون الكاذبون في حبه، ولكان أول من يقتل عيسى عليه السلام أولئك النصارى الضالون المضلون.

وأنت تراهم مع ذلك قد أكثروا من الأعياد والذكريات لحوادث المسيح وأمه ولكل شأن من شؤون المسيح وأمه وللرهبان والقسيسين من المنتسبين إلى المسيح، والزاعمين أنهم يحبون المسيح، فلا يكاد ينتهي شهر إلا وفيه عيد أو أكثر، يفعلون في تلك الأعياد أقصى ما يستطيعون، ويبذلون من الأموال في تلك الأعياد؛ ويطعمون من الأطعمة الخاصة باسم تلك الأعياد، ويوقدون من السرج، ويشعلون من الشموع، ويقيمون من الزينات ومعالم الأفراح، ابتهاجا وسرورا بتلك الأعياد والذكريات أقصى ما يستطيعون. وقد جعلوا لكل من تلك الأعياد طقوسا يرتلون فيها التراتيل، ويترنمون فيها بالصلوات والمزامير، ويجتمعون لها في الكنائس والمعابد والبيوت والمجامع، وهي - عندهم أهم عناصر دينهم وأقرب قرباتهم.

وأجلى مظاهر حبهم للمسيح ابن مريم، وإجلالهم له ولدينه وشرعته وهي - زعموا خير طريق يسلكونها إلى مرضاة عيسى ومرضاة الله، ليبلغوا بها إلى جنات الآخرة التي يقولون إنها مقصورة عليهم، حرام على غيرهم؛ ولن يدخلها إلا من كان نصرانيًا على عقيدتهم هذه، وأعيادهم هذه.

وإن كان هذا - في الحقيقة إنما هو إجلال وتعظيم للمسيح الخيالي الذي لا وجود له إلا في أوهامهم، وهو خصومة عنيفة وبغض شديد؛ ومبارزة بالعداء واللدد لعيسى ابن مريم عبد الله ورسوله؛ ومحادة له، ولشرعته ودينه، وازراء عليه وعلى ملته؛ وتكذيب فاحش له، وتوقح شنيع في الرد لما جاء به من الهدي والإيمان وما دعا إليه من العلم والحكمة، وإخلاص الدين والعبادة لله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

ولقد كان لليهود في إفساد دين عيسى ابن مريم وإزاغة النصارى عنه أكبر الأثر، لأنهم أقسى الناس قلبًا؛ وأبعدهم عن الرحمة والخير، وأعظمهم بغضًا للأنبياء ولكل قائم بالقسط بين الناس، ولكن اليهود مع هذا على طول الزمن قد تأثروا أيضًا بما كان سلفهم قد دسه في النصارى، وشرع لهم أحبارهم أعيادًا يضاهئون بها أعياد النصارى لما رأوا ما تجره هذه الأعياد من منافع مادية على الرهبان، فابتدع أحبار اليهود لعامتهم مثل هذه الأعياد، وأخذوا يستغلونها لجر المنافع المالية، والرياسات الدنيوية.

وقد كان لمشركي العرب، وعبدة الكواكب والمجوس والهنود وغيرهم في الجاهلية أعيادٌ ومواسم لآلهتهم. أعتقد أنها كانت القدوة الأولى التي عمل اليهود على جر النصارى إليها. والمنبع الأول الذي اقتبس منه اليهود ما أفسدوا به ملة عيسى ابن مريم. كما أن اليهود والنصارى جميعًا إنما أخذوا عقيدة بنوة عزير، والمسيح لله عن البوذيين، والبراهمة الهنود والصينيين. وعن عقيدة مشركي المصريين القدماء الذين كانوا يزعمون أن فرعون ابن السماء، أو ابن (رع) الشمس؛ أو ما إلى ذلك. وقد قال الله تعالى « وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ » (التوبة: ٣٠).

وكن على ذكر من أن هؤلاء جميعًا إنما كانوا يقيمون تلك الأعياد ويحتفلون بها وينحرون ويطعمون، ويلهون ويلعبون. قصدًا أولا إلى تعظيم من جعل له العيد من معتقديهم من البشر وغيره، صالحيهم وغير صالحيهم. وقصدا ثانيا إلى التقرب إلى الله بإحياء ذكريات أحبابه وأوليائه. وأن ذلك يحبه الله ويثيب عليه إكراما لأولئك الأحباب والأولياء. وأن ذلك دين ورثوه عن الآباء والأجداد، والأحبار والرهبان، وهم أعرف بالله وأوليائه وأحبابه ومحبوباته وما يقرب إليه من كل أحد. وأنه لا حق لأحد أن يسألهم من أين جئتم بهذا، ولا عن أي دليل أو حجة عليه. وإلا كان مطرودًا من رحمة الله. بل ومن الجنة أيضا، وما على الناس إلا أن يكون هؤلاء مثلهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون. وإلا سدت في وجوههم أبواب الرحمة التي مفاتيحها بأيدي أولئك الأحبار والرهبان. وأغلقت دونهم أبواب السماء التي لا تفتح إلا بواسطة أولئك والرؤساء المحتكرين للدين. بل وللجنة والآخرة. وكان عدوًا لله ملعونا من السماء.

وما كفاهم تلك البدع الخبيثة التي نشروها وحملوا الناس عليها بمختلف الأسباب والأساليب؛ بل عمدوا إلى ما يردها من النصوص؛ أو يشي إلى بطلانها - ولو من طرف خفي - فحرفوه عن موضعه أو غيروه واستبدلوه بغيره من عند أنفسهم يكتبونه بأيديهم ويقولون هذا من عند الله وما هو من عند الله. فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون.

وما زال الشر يتمادى بأولئك المبدلين لدين الله؛ المحرفين لكتبه، المحاربين لأنبيائه، المزيغين للعقائد المشترين بآيات الله ودينه ثمنًا من حطام الدنيا ومتاعها قليلا يملأ الله به بطونهم نارًا وسعيرا؛ ومازالت دائرة كفرهم وفسوقهم تتسع، وشرر زيغهم يتطاير؛ حتى أشعل في العالم نار الفتنة؛ وعم الأرض والناس بذلك جاهلية استحكمت مخالبها في قلوبهم، ووثنية ضربت على ربوعهم ونفوسهم، وظهر الفاسد في البر والبحر بما كسبت أيدي هذه الطوائف المحتكرة لرحمة الله وفضله، وثوابه وجنته، ومن تبعهم على ذلك ومالأهم على ظلمهم واستبدادهم وطغيانهم؛ وانتشر ظلام هذه الجاهلية الجهلاء حتى أصبح في ليل بهيم من عمى القلوب والبصائر.

وآن أوان نزول الغيب من عند الله، وانبثاق نور الهداية التي يخرجهم الله بها من تلك الظلمات إلى النور، وينقذهم من الضلال إلى الهدى، ويفك عنهم أغلال أولئك الظالمين الطاغين، ويهديهم سبيله المستقيم الذي يستحيل على الله أن

يجعله احتكارا بيد أحد، وكشف عن مخازي وجرائم أولئك الزاعمين أنفسهم خزان رحمة الله، وعرفنا أنهم أبعد الناس عن رحمة الله، وأشقى الناس بعذاب الله وغضبه وشديد عقابه. وما تنزل ذلك الغيث الرحماني إلا على قلب خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، وما تفجرت ينابيع الحكمة والرحمة إلا على لسان ذلك الرسول الأكرم، فأحرقت شهبها شياطين الدجل الديني، وطواغيت الخرافات والعقائد الزائفة، وبددت مصابيحها غياهب تلك الظلمات، وجلت عن القلوب صداها، وأعادتها إلى صفائها الفطري، فعرفت ربها وبارئها، وخلصت له دينها وذلها، وأسلمت له وجهها في طاعة وانقياد، لا استدراك ولا تكعكع، وسارعت إلى مغفرة الله ورضوانه، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

مهد الله تعالى لانبثاق هذا النور المحمدي بمقدمات نبهت العقول إلى قرب مجيئه وأعدت النفوس وهيأتها لتلقيه بما هو أهل من التصديق والإذعان، والإجلال والإعظام والإكبار.

فكان حدث أبرهة مع جيشه الكثيف؛ وفيلته العظيمة، وإجرامه الفظيع في محاولة هدم بيت الله العتيق؛ وعجز قريش وجيران قريش، وإخلافهم عن صده ورده ولجوئهم وفزعهم إلى الله على لسان شيخ قريش عبد المطلب؛ إذ تعلق بأستار البيت ونادي ربه:

لا هُمّ إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

فمنع الله بيته، ورد كيد عدوه في نحره « وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ » (الفيل: ٣ - ٥) ولا كرامة لقريش ولا نصرة لهم ولشيخهم، فلم يكونوا بشركهم ووثنيتهم الفاجرة، وتلويثهم البيت الذي طهره إبراهيم للطائفين والعاكفين والركع السجود بما نصبوا عليه وحوله وبداخله من صور وتماثيل آلهتهم التي اتخذوها من دون الله، وإنما كان ذلك إكرامًا وتمهيدًا لذلك المولود الكريم الذي سيولد في هذا العام الولادة الأولى البشرية، فيكون المثل الأعلى في طفولته لتربية النشئ على الطهر والعفاف، وعزة النفس وصيانتها عن كل ما يتسفل بها إلى درك الصغار والفساد. والذي سيولد الولادة الثانية الروحية العلمية الرسالية، فيحمي الله به هذا البيت العتيق؛ ويطهره من تلك الأرجاس الشركية؛ ويدفع عنه الهدم المعنوي الذي هدم وقوض من أركانه الدينية بما ألصقت به قريش من صور وتماثيل أوليائهم الذين « وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ⑳ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ » (النحل: ٢٠، ٢١).

فأبرهة كان يريد هدمه الحسي بنقض أحجاره، وقريش كانت تهدمه الهدم المعنوي، وتخربه الخراب الديني، فحماه الله من أبرهة عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن قريشا بفضل ذلك المولود العظيم الذي سيحيي الله به بيته العتيق من هدمهم المعنوي ويعمره بالإيمان بالله وإقام الصلاة والطواف لله وحده والعكوف عنده لله وحده لا شريك له.

وقرن الله تعالى بميلاد ذلك المولود العظيم آيات بهرت العقول، إرهاصًا بنبوته، وإعلامًا بجلالته، وإيذانًا بفضيلته، وجعله يتيما لم ير أباه حتى يكون الفضل في كفالته وتربيته وإيوائه لله وحده، ليصنع على عين الله، يصاغ في القالب العقلي والفكري الذي يؤهله لوظيفة خاتم المرسلين، وأتقى المتقين، وأعلم العالمين بالله

رب العالمين، وسيد الداعين، وأصبر المجاهدين، وخير أولي العزم من الأنبياء الصادقين، وأفضل قدوة وأحسنها للمهتدين إلى صراط الله المستقيم.

فهو في ولادته الأولى: محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي: بشر، ولد كما يولد البشر؛ وطعامه وشرابه ومحياه ومماته ككل إنسان «يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ» (المؤمنون: ٣٣) وقد قال الله الذي شهد خلق رسول الله وتكوينه وخلق السموات والأرض وخلق أنفس الناس وكل شيء «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» (الكهف: ١١٠) (فصلت: ٦) «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ» (الأنبياء: ٣٤) «قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ» (الأحقاف: ٩) «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (الزمر: ٣٠) «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ» (آل عمران: ١٤٤).

لقد حدَّث النبي صلى الله عليه وسلم وهو أعلم بنفسه من كل إنسان مهما أوتي من علم - "إنما أنا بشر، فلعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته فأقضي له" "إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد" "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله: فقولوا عبد الله ورسوله".

ألا فاشهدوا بأني آمنت بقول الله عن رسوله وبشريته، وقول الرسول عن نفسه وعبوديته، وكفرت بكذب أعداء الرسول القائلين على الله وعليه بغير علم ولا هدى ولا نور: إنه أول خلق الله كلهم؛ وأنه النور الذي منه خلق الله كل شيء، وأنه نور عرش الله، وأنه مكتوب على ساق العرش، وأنه وأنه... من تلك الأباطيل التي دسها اليهود واخوانهم وافتروها على الله ورسوله؛ وموهوا بها على الجاهلين ليصلوا منها إلى تكذيب القرآن فيما أخبر عن بشرية الرسول التي يماثل فيها جميع البشر، والى تكذيب الرسول الذي يخبر عن نفسه بما يرد افتراءات أولئك الزائغين الضالين، وان زعموا وزعم لهم شياطينهم أنهم أشد الناس حبًا للرسول وتعظيما للرسول: فما مثلهم إلا كمثل النصارى مع عيسى سواء بسواء، حذوك النعل بالنعل، فكن على بيّنة من أمرك، واحذر أن تكون مع الجاهلين المفتونين المخدوعين عن دينهم ونبيهم بخرافات وجهالات عششت وباضت وفرخت في رءوسهم وقلوبهم فحجبتها عن نور العلم النبوي؛ والهدي المحمدي الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأفلح به أصحابه الصادقون والتابعون المقتدون والأئمة المهتدون والعلماء العارفون؛ ولم يخطر مع هذا ببال واحد منهم تلك الفرى الكاذبة: فإن ما أوتوا من علم وإيمان رد عنهم كيد شياطين الإنس والجن، فلم يستطيعوا أن يدسوا في رءوسهم تلك الخزعبلات والجهالات، وأغناهم في معرفة الرسول وإجلاله وتفديته بأنفسهم ما أفادهم من العلم والإيمان؛ وما أنقذهم من شرك ووثنية. ولقد كانوا من قبل لفي ضلال مبين. أولئك قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ» (الأنعام: ٩٠).

نعم، محمد صلى الله عليه وسلم بشر في خلقه: بشر في ولادته: بشر في طعامه وشرابه، بشر في محياه ومماته، ولكنه لا يستطيع عاقل - فضلا عن مسلم - أن ينكر أو يجحد أنه أعلى أنواع البشرية في كل خصائصها ومزاياها عليه الصلاة والسلام

والحمد لله رب العالمين

قصة مفتراة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه ،مع المرأة صاحبة اللبن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ والكُتاب في الصحف والمجلات، وبعض الكُتب، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

أسباب ذكر هذه القصة:

١- هذه القصة اشتهرت على ألسنة الخطباء والقصاص، وانتشرت في بعض الكُتب التي صنَّفها مؤلفوها في مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

٢- وقد بيّنا في التحذير السابق مثالب هذه القصص الواهية في الخطاب الديني، وبينت أن من أوجب الواجبات لمن ينادي بتجديد الخطاب الديني أن يخلص الدين مما ليس منه، بدلاً من أن يُدْخل في الدين ما ليس منه.

وهذا مبني على حديث في أعلى درجات الصحة متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٢٦٩٧)، والإمام مسلم في «صحيحه» (ح١٧١٨) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليسَ منه فهو ردٌ».

قال الإمام النووي في كتابه «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٢٩٥/٦) (ح١٧١٨): «هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم». ثم ختم الإمام النووي شرحه لهذا الحديث فقال: «وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات، واشاعة الاستدلال به». اهـ.

إعداد الشيخ/ علي حشيش

قلت: بل نقل الحافظ ابن رجب (٧٣٦- ٧٩٥) في كتابه «جامع العلوم والحكم» (ح١): أن الإمام أحمد ابن حنبل قال: «أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث:

حديث عمر: «إنما الأعمال بالنيات».

وحديث عائشة: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

وحديث النعمان بن بشير: «الحلال بَيِّنٌ، والحرام بَيِّنٌ». اهـ.

٣- قوله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردَ». قال النووي: قال أهل العربية: «الرد هنا بمعنى المردود، فهو باطل غير مُعتَدَ به». اهـ.

قلت: من هذا يتبين أن هذا الحديث الذي هو قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، هو قاعدة عظيمة أيضًا يُبنَى عليها الغاية من علم الحديث والمقصود منه «أن يُعرَف المقبول والمردود». وعدم معرفة الصناعة الحديثية جعلت من الكذب المُختَلق

المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم حوارًا في دار الأرقم بن أبي الأرقم عندما أتى عمر بن الخطاب الدار ونطق بالشهادتين، وأخذ يحاور النبي فقال عمر: «يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بلى، والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم، وإن حييتم». قال عمر: فقلت: ففيمَ الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن، فأخرجناه في صفَّين: حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديد ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد، قال عمر: فنظرت إلي قريش وإلى حمزة فأصابهم كآبة لم يصبهم مثلها». اهـ.

مثالب هذه القصة الموضوعة في الخطاب الديني:

أ- استنبط الأستاذ العقاد من هذه القصة التي أوردها في «عبقرية عمر» (ص١١٠) هو الشجاع الحق: حيث قال: «وما الشجاعة إن لم تكن هي الجرأة على الموت كلما وجب الاجتراء عليه؟ وأيّ امرئ أولى من الشجاع الذي يعلم الحق بين يديه؟ ألسنا على الحق إن حيينا وإن متنا». اهـ.

ب- وإن تعجب فعجب أن الأستاذ الأديب العقاد أورد هذه القصة في كتابه «عبقرية عمر»، ولم يذكر لها تخريجًا ولا تحقيقًا كما تقتضيه البحوث العلمية الحديثية والدراسة المنهجية، خاصة وأن هذا الكتاب كان مقررًا في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي على طلبة شهادة الثانوية العامة، كما فصَّلنا ذلك في التحذير السابق، وكيف لا توجد لجنة بحوث علمية حديثية لبيان هذا الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فما كان لعمر رضي الله عنه أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ففيم الاختفاء؟ وليس عمر بأشجع من النبي صلى الله عليه وسلم حتى يقسم على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: «والذي بعثك بالحق لتخرجن»، وإن تعجب فعجب أن يُنسب إلى عمر رضي الله عنه قوله: «فأخرجناه»، والأعجب قوله: «فأخرجناه في صفين: حمزة في أحدهما وأنا في الآخر له كديد ككديد الطحين...».

جـ- ومن أسوأ مثالب هذه القصة الموضوعة في الخطاب الديني: في واقعنا المعاصر في مطلع هذا القرن الحادي والعشرين نشطت الفرق الحزبية نشاطًا كبيرًا، ودعوا إلى المظاهرات في معظم الميادين، ووزعوا هذه القصة في خطاب ديني في منشورات في جميع المحافظات؛ ليتخذوا من هذا الإفك دليلاً على شرعية الخروج والمظاهرات، حيث ختموه قائلين:

«فهذه إحدى المظاهرات، وعلى رأسها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتكون لنا أسوة بعده صلى الله عليه وسلم». اهـ.

قلت: هكذا استخفوا الكثير فأطاعوهم حتى أخرجوهم في مظاهرات واعتصامات في الميادين، والخطاب الديني إذا خالطه الكذب كانت مصائبه كبيرة، وفتنة عظيمة، فسُفكت الدماء، ونُهبت الأموال، وأُغلقت معاهد إعداد الدعاة لأهل السُّنة، ومُنعت الأسابيع العلمية الثقافية!!

٤- فائدة مهمة:

هناك قصص في مناقب الصحابي الجليل عمر بن الخطاب اشتهرت وانتشرت لا يعرف حقيقتها إلا أصحاب الصناعة الحديثية، ولا يعرف مثالبها في الخطاب الديني إلا أهل الحديث والسنة، ومنها قصة «تقويم اعوجاج عمر رضي الله عنه بالسيف»، وهي قصة تدعو إلى الخروج على الحكام، وتقويم اعوجاجهم بالسلاح، وانتشرت على ألسنة الخطباء والوعاظ، بل والكُتاب، بل وكانت منهجًا يُدرس في أهم مرحلة من مراحل التعليم «التوجيهية»، لذلك نجد هذه القصة أيضًا أوردها الأستاذ الأديب عباس العقاد في كتابه «عبقرية عمر» (ص١٣٩) ط وزارة التربية والتعليم بمصر- الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية، قال:

«ومن ذلك الرواية المشهورة التي سأل عمر الناس فيها أن يدلُّوه على عوجه، فقال له أحدهم: والله لو علمنا فيك اعوجاجًا لقوَّمناك بسيوفنا. فحمد الله أن جعل في المسلمين من يُقوِّم اعوجاج عمر بسيفه». اهـ.

هذه القصة أوردها بغير تخريج ولا تحقيق، وتوهم الأستاذ العقاد - عفا الله عنا وعنه- من شهرة القصة صحتها، ولكن هيهات، فكم من مشهور موضوع مكذوب! وكم من مشهور لا أصل له! ولمن لم يكن الحديث صناعته لم يتبين له علته، ولم يقف على أسباب وضعه ونكارته.

ومثالب هذه القصة كالسابقة في الخطاب الديني: قصة تدعو للخروج في المظاهرات، وأخرى تدعو للخروج بالسيف لتقويم اعوجاج الحكام، وهكذا يفعل الخوارج. ويجعلون من هذا الكذب منهجًا للتدريس واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين. لذلك بوب الإمام البخاري بابا في كتاب العلم: «العلم قبل القول والعمل».

٥- ومن القصص المنكرة في مناقب الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قصته مع المرأة صاحبة اللبن

المتن:

رُوي عن أسلم قال: «بينما أنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يعُسّ بالمدينة إذ أعيا فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء، فقالت لها: يا أمتاه أو ما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته يا بُنية؟ قالت: إنه أمر مناديا، فنادى أن لا يُشاب اللبن بالماء. فقالت لها: يا بنتاه قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر. فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا.

وعمر يسمع كل ذلك، فقال: يا أسلم علّم الباب واعرف الموضع.

ثم مضى في عسسه، فلما أصبح قال: يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة، ومن المقول لها، وهل لهم من بعل؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها، وإذا تيك أمها، وإذا ليس لها رجل، فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته.

فدعا عمر ولده فجمعهم، فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية.

فقال عبد الله: لي زوجة، وقال عبد الرحمن: لي زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني، فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتا وولدت البنت ابنة وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

التخريج:

أخرجه أبو بكر الآجري في «أخبار عمر بن عبد العزيز» (ص٤٧، ٤٨) قال: «أخبرنا أبو سعيد الحسن بن علي الجصاص قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين. قال: أخبرني أبي قال: حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم به».

التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة منكر، لا يصح، علته: عبد الله بن زيد بن أسلم:

١- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/١٠): «كان كثير الخطأ، فاحش الوهم، يأتي بالأشياء عن الثقات التي إذا سمعها المبتدئ في هذه الصناعة شهد عليها بالوضع». اهـ. قلت: لذلك قال الحافظ العراقي في «شرح التبصرة والتذكرة» (١/١٠٣): «من كثر الخطأ في حديثه وفحش، استحق الترك، ولو كان عدلاً». اهـ.

٢- في «تاريخ ابن معين» (١٥٧/٣) رواية الدوري: سمعت يحيى يقول: أسامة وعبد الله وعبد الرحمن أولاد زيد بن أسلم: «ليس حديثهم بشيء».

٣- وقال الإمام الحافظ الجوزجاني في «أحوال الرجال» (٢٢٣): «بنو زيد بن أسلم ضعفاء في الحديث».

هذا ما وفقني الله تعالى إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد / الشيخ/ علي حشيش

- «ذُو الوجهين في الدُنيا يأتي يوم القيامة وله وَجْهان من نارٍ».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (١/٤٣) مكتبة الحرم النبوي (الحديث) رقم المخطوطة (٢١٣/١٠)، وقال: «طس عن سعد بن أبي وقاص».

قلتُ: «طس» ترمز إلى «المعجم الأوسط للطبراني».

وهذا تخريج بغير تحقيق، فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين أنه حديث موضوع.

فائدة: نذكر القارئ الكريم بحدِّ «الحديث الموضوع» في عبارة جامعة مانعة، قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» النوع (٢١):

«الموضوع هو الكذب المختلَق المصنوع، المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته في أيِّ معنى كان، سواء الأحكام والقصص وغيرها، إلا مقرونًا ببيان وضعه».

وسنطبق هذا المصطلح على هذا الحديث من التخريج والتحقيق، حتى يجد طالب هذا العلم أيضًا دراسة «لعلم الحديث التطبيقي».

أولًا: التخريج:

الحديث أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٥١/٧) (ح٦٢٧٤) -ط مكتبة المعارف بالرياض- قال: «حدثنا محمد بن علي الصائغ، قال: حدثنا خالد بن يزيد العُمري، قال: حدثنا سعيد بن مسلم بن بَانَكٍ، عن سعيد بن أبي أويس، عن ابن كعب، عن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذو الوجهين في الدنيا...» الحديث.

ثانيًا: التحقيق:

١- قال الحافظ الطبراني: «لا يُروى هذا الحديث عن سعد إلا بهذا الإسناد، تفرَّد به خالد بن يزيد العمري». اهـ.

قلتُ: فالحديث غريب، وعلته: خالد بن يزيد العمري

٢- وبالرجوع إلى الإمام أبي حاتم الرازي (١٩٥-٢٧٧هـ) يقول ابنه أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٦٠/٢/١) قال: «سُئل أبي عن خالد بن يزيد العمري المكي فقال: كان كذابًا أتيته بمكة ولم أكتب عنه، وكان ذاهب الحديث».

وقال أيضًا الإمام الحافظ ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني قال: سمعت يحيى بن معين يقول: خالد بن يزيد العمري كذاب.

٣- وقال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (١٨٤/١/٢): «خالد بن يزيد مكي ذاهب الحديث». اهـ.

٤- وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٨٠/١): «يروي الموضوعات عن الأثبات».

الاستنتاج: من خلال أقوال الأئمة يتبين أن خالد بن يزيد العمري المكي: كذاب، ذاهب الحديث، يروي الموضوعات، إذن فالحديث: «موضوع». والله أعلم.

الألفاظ الموهمة في باب الصفات.. بين الإجمال والاستفصال (٣)

أبو الحسن الأشعري يكشف عن الفرق بين: نفي التجسيم عن الله وصفاته لدى أهل الحق المثبتين لصفاته تعالى.. وبين نفي أهل الزيغ المعطلين لها

إعداد: أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فبعد أن تقرر أن كلاً من أهل السنة وسلف الأمة المثبتين لصفات الله، والمعتزلة وأهل الكلام من الأشعرية المعطلين لها أو لجُلّها، ينفون الجسم عن الله تعالى.

وذكرنا في بيان ذلك عن الفريق الأول قول أبي الحسن الأشعري في (مقالات الإسلاميين) ص٢١١ - وبنحوه في (الإبانة) و(رسالة أهل الثغر) فيما ساقه عن الصحابة وسلف الأمة وذكر له إجماعهم - ما نصه: "قال أهل السنة وأصحاب الحديث: (ليس بجسم ولا يشبه الأشياء وأنه على العرش كما قال عز وجل: «الرحمن على العرش استوى»، ولا نقدم بين يدي الله في القول؛ بل نقول: استوى بلا كيف؛ وأنه نور كما قال تعالى: «الله نور السماوات والأرض»؛ وأن له وجهًا كما قال: «ويبقى وجه ربك»، وأن له يدين كما قال: «خلقت بيدي»، وأن له عينين كما قال: «تجري بأعيننا»، وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال: «وجاء ربك والملك صفًا صفًا»، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث)، ولم يقولوا شيئًا إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله".

وقبل ذلك مباشرة. وتحديدًا في ص٢٠٧، قوله عن الفريق الثاني: "قد أخبَرْنا عن المنكرين للتجسيم - ويعني بهم: المعتزلة وقد تبعهم الأشعرية - أنهم يقولون: إن الباري ليس بجسم ولا محدود ولا ذي نهاية". وقوله عنهم من قبل: "أجمعت المعتزلة على أن الله، ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص، ولا جوهر ولا عرض، ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة، ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق، ولا اجتماع ولا افتراق، ولا يتحرك ولا يسكن، ولا يتبعَّض وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء، وليس بذي جهات ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت، ولا يحيط به مكان ولا يجري

عليه زمان ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن.. ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات وليس بمحدود"، إلى أن قال: "فهذه جملة قولهم في التوحيد وقد شاركهم في هذه الجملة الخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الشيعة، وإن كانوا للجملة التي يُظهرونها ناقضين ولها تاركين".

وأوضحنا هنالك أن الفرق بين هؤلاء وأولئك يكمن في: أن أهل الحق وأصحاب الحديث يتميزون وفق ما جاء في نصوص الوحي؛ بالتوسع في صفات الإثبات دون صفات النفي؛ بَيْنا أهل الزيغ والضلال على العكس من ذلك، يتوسعون كما رأينا في صفات السلب دون صفات الإثبات، ولذا حُقَّ لأهل الحق أن يُطلقوا عليهم أنهم يعبدون عدمًا.

بقي أن نستوضح من كلام الأشعري أيضًا مقولات فِرق المجسمة نصًا، لنردَّ به عادية الأشعرية الذين لم يكفهم تعطيل صفاته تعالى باستثناء سبعة منها وتأويل ما عداها، حتى راحوا يلصقون تهمة التجسيم بأهل السنة والجماعة.

أ- حقيقة (التجسيم) المنفي عن صفات الله عند الأشعري تبعًا للسلف، وخلافًا للأشعرية الذين أرادوا به باطلاً:

يقول أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين ص٢٠٧: «ونحن الآن نُخبر عن أقاويل المجسمة واختلافهم في التجسيم... اختلف المجسِّمة فيما بينهم على ست عشرة مقالة:

فقال هشام بن الحكم: (إن الله جسم محدود عريض عميق طويل؛ طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه، نور ساطع، له قدر من الأقدار بمعنى: أن له مقدارًا في طوله وعرضه وعمقه لا يتجاوزه في مكان دون مكان؛ كالسبيكة الصافية؛ يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها؛ ذو لون وطعم ورائحة ومجسَّة؛ لونه هو طعمه وهو رائحته وهو مجسته؛ وهو نفسه لون ولم يثبت لونًا غيره؛ وأنه يتحرك ويسكن؛ ويقوم ويقعد)؛ وحكى عنه أبو الهذيل أنه أجابه إلى (أن جبل أبي قبيس أعظم من معبوده)؛ وحكى عنه ابن الراوندي أنه زعم أن الله (يشبه الأجسام التي خلقها من جهة من الجهات ولولا ذلك ما دلت عليه)، وحكي عنه أنه قال: (هو جسم لا كالأجسام ومعنى ذلك أنه شيء موجود).

وقد ذُكر عن بعض المجسمة أنه كان يثبت البارئ ملوَّنًا؛ ويأبى أن يكون ذا طعم ورائحة ومجسة وأن يكون طويلاً وعريضًا وعميقًا؛ وزعم أنه في مكان دون مكان؛ متحرك من وقت خلق الخلق.. وقال قائلون: (إن البارئ جسم، وأنكروا أن يكون موصوفًا بلون أو طعم أو رائحة أو مجسة أو شيء مما وصف به هشام، غير أنه على العرش مماس له دون ما سواه).

واختلفوا في مقدار البارئ بعد أن جعلوه جسمًا؛ فقال قائلون: (هو جسم، وهو في كل مكان وفاضل عن جميع الأماكن، وهو مع ذلك متناه غير أن مساحته أكثر من مساحة العالم لأنه أكبر من كل شيء).. وقال بعضهم: (مساحته على قدر العالم)؛ وقال بعضهم: (إن البارئ جسم له مقدار في المساحة)؛ وقال بعضهم: (هو في أحسن الأقدار؛ وأحسن الأقدار أن يكون ليس بالعظيم الجافي ولا القليل القميء)؛ وحكي عن هشام بن الحكم (أن أحسن الأقدار أن يكون سبعة أشبار بشبر نفسه).. وقال بعضهم: (ليس لمساحة البارئ نهاية ولا غاية، وأنه ذاهب في الجهات الست: اليمين والشمال والأمام والخلف والفوق والتحت)، قالوا: (وما كان كذلك لا يقع عليه اسم جسم ولا طويل ولا عريض ولا عميق، وليس بذي حدود ولا هيئة ولا قطب).

وقال قوم: (إن معبودهم هو الفضاء؛ وهو جسم تحل الأشياء فيه؛ ليس بذي غاية ولا نهاية)؛ وقال بعضهم: (هو الفضاء وليس بجسم والأشياء

قائمة به.. وقال داود الجواربي ومقاتل بن سليمان: (إن الله جسم وأنه جثة على صورة الإنسان؛ لحمٌ ودمٌ وشعرٌ وعظم، له جوارح وأعضاء من: يد ورجلٍ ولسان ورأس وعينين؛ وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه)، وحُكي عن الجواربي أنه كان يقول: (أجوف من فيه إلى صدره، ومصمت ما سوى ذلك)؛ وكثير من الناس يقولون: (هو مصمت ويتأولون قول الله: «الصمد» المصمت الذي ليس بأجوف).

وقال هشام بن سالم الجواليقي: (إن الله على صورة الإنسان وأنكر أن يكون لحمًا ودمًا، وأنه نور ساطع يتلألأ بياضًا، وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان، سمعه غير بصره وكذلك سائر حواسه، له يدٌ ورجلٌ وأذنٌ وعينٌ وأنفٌ وفمٌ؛ وأن له وفرة سوداء)، وممن قال بالصورة مَن ينكر أن يكون البارئ جسمًا، وممن قال بالتجسيم مَن ينكر أن يكون البارئ صورة".

ويتابع الأشعري مقولة المجسمة فيقول: "باب اختلافهم في البارئ؛ هل هو في مكان دون مكان أم لا في مكان أم في كل مكان؟؛ وهل تَحْمِلُه الحملة؛ أم يحمله العرش؟ وهل هم ثمانية أملاك أم ثمانية أصناف من الملائكة؟: اختلفوا في ذلك على سبع عشرة مقالة: قد ذكرنا قول من امتنع من ذلك وقال: (إنه حالٌّ في كل مكان)؛ وقول من قال: (لا نهاية له)، وأن هاتين الفرقتين أنكرتا القول أنه في مكان دون مكان.

وقال قائلون: (هو جسم خارج من جميع صفات الجسم، ليس بطويل ولا عريض ولا عميق، ولا يوصف بلون ولا طعم ولا مجسة ولا شيء من صفات الأجسام، وأنه ليس في الأشياء ولا على العرش إلا على معنى: أنه فوقه غير مماس له؛ وأنه فوق الأشياء وفوق العرش ليس بينه وبين الأشياء أكثر من أنه فوقها).

وقال هشام بن الحكم: (إن ربه في مكان دون مكان وأن مكانه هو العرش وأنه مماسٌّ للعرش)، وقال بعض أصحابه: (إن البارئ قد ملأ العرش وأنه مماس له).. وقال بعض من ينتحل الحديث: (إن العرش لم يمتلئ به وأنه يُقعد نبيه معه على العرش)"، إلى أن قال(أي الأشعري) - رحمه الله -: «قالت المجسمة: له يدان ورجلان ووجه وعينان وجنب، ويذهبون إلى الجوارح والأعضاء» انتهى من كلام أبي الحسن الأشعري.

هذا -أعزكم الله وعافانا وعافاكم- هو التجسيم كما حكاه إمام المثبتين وأقرب وأعرف الناس بالمجسمين، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.. ولعله قد تأكد الآن أن من قال بخلاف ما قاله الأشعري في (الإبانة) و(المقالات) و(رسالة أهل الثغر) نفيًا وإثباتًا؛ وخلاف ما ساق عليه إجماع الصحابة في هذه الكتب، هو بلا أدنى شك: مبتدع ومخالف لما عليه الأشعري، بل ولما عليه عموم أهل السنة وأصحاب الحديث.

ب- أسئلة للأشعرية المتهمين مثبتة أهل السنة بالتجسيم:

وثمة أسئلة تفرض الآن نفسها: أين هذا الكلام الكفري المبني على الكيف؛ من معتقد الصحابة وأئمة أهل السنة وعلى رأسهم أبو الحسن، الذين نفوا عن الله كل معاني الجسمية هذه، ونزّهوه عن كافة صفات المخلوقين، وأثبتوا له مع هذا وفي الوقت ذاته: جميع ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله بلا كيف؛ "وأجمعوا - فيما وجب اعتقاده مما دعاهم النبي عليه السلام إليه ونبههم إلى صحته، وعلى حد قول الأشعري (في رسالة أهل الثغر ص٢١٨ ت.د. شاكر): لا يجب إذا أثبتنا الصفات له سبحانه على ما دلت عليه العقول واللغة والقرآن والإجماع؛ أن تكون محدثة، لأنه تعالى لم يزل موصوفًا بها، ولا يجب أن تكون أعراضًا لأنه عز وجل لم يكن جسمًا وإنما توجد الأعراض في الأجسام، ويُدَلُّ بأعراضها فيها وتعاقبها عليها، على حدَثها.. كما لا يجب أن

تكون نفس الباري جسمًا أو جوهرًا أو محدودًا أو غير ذلك مما لا يجوز عليه من صفاتنا لمفارقته لنا". فسلموا من كل شبهات المجسمة والمشبهة والمؤولة؟!

وهل يُقبل ممن نفى الجسمية من الأشعرية بعد هذا الذي سقناه للأشعري، أن يؤول صفات الله الفعلية والخبرية بعد أن عطلها وشبهها بصفات المخلوقين مخالفًا بذلك ما عليه صحيح الدين والاعتقاد؟، وهل له بنفيها أن يدلّس ويلفق ويكذب ويتهم بالجسمية: مثبتة أهل السنة الذين هم براء منها؛ فيكون ذلك إن فعل؛ دليلاً على أنه حقًّا من أهل البدع والزيغ والضلال والتدليس؛ إذ من علاماتهم كما قرر أئمة السلف: تسميتهم أهل السنة بالمجسمة والحشوية؟

جـ- أرسطو وجاليانوس هم سلف المعتزلة والأشعرية في التعطيل

واذ قد عرفت أخي القارئ مصدر تلقينا معاشر أهل السنة. فلك ولأي مسلم عاقل، أن تتعجب من تأثر كلٍّ من المعتزلة والأشعرية فيما جنحوا إليه؛ بفلاسفة اليونان مصدر تلقيهم، وكان شيخ الإسلام قد عرض في مجموع الفتاوى (٢٧٢/٥) لهذا الأمر وقال ما نصه: "وقال طوائف منهم: (ليس فوق العالم ولا فوق العالم شيء أصلاً ولا فوق العرش شيء)، وهذا قول الجهمية والمعتزلة وطوائف من متأخري الأشعرية والفلاسفة النفاة؛ والقرامطة الباطنية. أو (أنه في كل مكان بذاته) كما يقول ذلك طوائف من عبادهم ومتكلميهم وصوفيتهم وعامتهم".

كما عرض كثير من الباحثين لمدى تأثر المتكلمة بفلاسفة اليونان، وكان ضمن هؤلاء الباحثين د.محمد بن خليفة بن علي التميمي حيث ذكر ص٨٥ ضمن (مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات) أن "أهل الكلام شاركوا الفلاسفة في بعض أصولهم، وأخذوا عنهم القواعد المنطقية والمناهج الكلامية، وتأثروا بها إلى درجة كبيرة. وسلكوا في تقرير مسائل الاعتقاد المسلك العقلاني على حد زعمهم، وشاركوهم في تشويه كثير من الحقائق الغيبية، فلا تجد في كتب أهل الكلام على اختلاف طوائفهم تقريرًا لمسائل الاعتقاد كما جاءت بها النصوص الصحيحة، فبدل أن تسمع أو تقرأ: قال الله أو قال رسوله أو قال الصحابة، فإنك لا تجد في كتبهم إلا قال الفضلاء، قال العقلاء، قال الحكماء، ويعنون بهم: فلاسفة اليونان من الوثنيين"، ويتساءل مثلنا: "كيف جاز لهم ترك كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم والأخذ بكلام من لا يَعرف الله ولا يؤمن برسوله؟!".

وذهب بعض المعاصرين بأن ما أتى به أهل الكلام محدثٌ؛ وأن "عموم نظار المسلمين المتقدمين من المعتزلة والأشعرية وغيرهم، لم يلتفتوا كثيرًا إلى الفلسفة اليونانية ومنطق أرسطو، إلى أن جاء أبو حامد الغزالي فخلط منطق اليونان بأصول المسلمين، حيث ألف كتابه (معيار العلم في المنطق)" وأنه تراجع عن ذلك فيما بعد؛ وردَّه في كتابه: (تهافت الفلاسفة).

وكان الإيجي الأشعري قد حكى في كتابه: (المواقف) ٦٠٩/٢ عن مدى تأثره بالفيلسوف اليوناني المدعو (جالينوس) الذي ذكر الإيجي مذهبه قائلاً: "مذهب جالينوس في حدوث الأجسام مسالك: المسلك الأول وهو المشهور: أن الأجسام لا تخلو عن الحوادث، وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث".

لك أخي القارئ أن تتأمل كل ذلك لتعلم إلى أيّ مدى عوَّل الأشعرية على كلام الفلاسفة حتى من غير المسلمين؟! وكيف بنوا عقيدتهم في توحيد الله في أسمائه وصفاته على نظرية فلاسفة ملحدين انطلى عليهم كلامهم؟! وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

حديث القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد **الشيخ إبراهيم حافظ رزق**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فإن الحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم حديث مُحبَّب إلى النفوس المؤمنة، فرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين اختاره الله من بين خلقه ليكون رسوله المصطفى إلى عباده، كما في الأثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته». (أخرجه أحمد، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند: إسناده حسن).

وفى صحيح مسلم من حديثٍ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنَّ اللَّه اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ".

وفي صحيح مسلم أيضًا من حديث عياض بن حمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «...إِنَّ اللَّه نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ...».

ولله سبحانه وتعالى الحكمة البالغة في الاصطفاء والاجتباء، كما قال تعالى: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ» (القصص: ٦٨).

ويقول سبحانه: «ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ» (الحج: ٧٥).

فالله سبحانه اختار نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين

فابتعثه من بين عباده وأرسله للناس كافة عربهم وعجمهم؛ قال سبحانه: « وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا » (سبأ: ٢٨)، بل أرسله سبحانه رسولاً إلى الثقلين الجن والإنس كما في قوله تعالى: « تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا » (الفرقان: ١). كما في أثر عن عبد الله بن عباس: «العالمون: الجنّ والإنس». انتهى.

وحين تقرأ القرآن تجده أشار إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم حتى قبل مجيئه إلى الحياة، فها هو الخليل إبراهيم عليه السلام، كان يرفع قواعد البيت يدعو ربه قائلاً: « رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ » (البقرة: ١٢٩). فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم استجابةً لدعوة الخليل إبراهيم عليه السلام.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن نفسه: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام». (قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند: صحيح لغيره).

وقد جاءت بشارة عيسى بالنبي عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: «وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ » (الصف: ٦).

وقد أشار القرآن إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، كما في قوله تعالى: « ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ » (الأعراف: ١٥٧).

وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص لما سُئل عن صفة الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا».

فقوله: وحرزًا للأميين، أي حصنًا يتحصنون به من الشيطان أو مما يُوقعهم في غضب الله أو يتحصنون به من سطوة غيرهم وتسلطهم عليهم، والأميون هم العرب؛ لأن غالبيتهم كانوا لا يقرأون ولا يكتبون، وفي القرآن: « هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ » (الجمعة: ٢).

فالله سبحانه يمتن على هذه الأمة بأنه بعث فيهم رسولاً منهم ليس غريبًا عنهم، بل هو من بني جلدتهم ويتكلم بلسانهم يعرفونه ويعرفون خُلقه ونَسَبه وأمانته وعفافه، كما قال تعالى: «لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ » (آل عمران: ١٦٤)، وقال تعالى: «لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ » (التوبة: ١٢٨).

وقد أخبر القرآن فيما أخبر به من أمور الغيب أن الله عز وجل قد أخذ العهد والميثاق على الأنبياء والمرسلين الذين سبقوا نبينا عليه الصلاة والسلام إن أدركهم زمان محمد صلى الله عليه وسلم؛ أن يؤمنوا به ويتبعوه، كما في قول كثير من المفسرين عند قول الحق تبارك

وتعالى: «وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ » (آل عمران: ٨١).

وإلى جانب ما سبق ذكره من بشارات وإشارات الكتب السابقة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله سبحانه رفع ذكْر نبيه صلى الله عليه وسلم ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين، فها هو اسم نبينا يُذكر مع اسم الله سبحانه في كل أذان للصلاة: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، والله سبحانه تولى الدفاع عن نبيه صلى الله عليه وسلم في كل ما اتهمه به أعداؤه من قولهم: إنه ساحر، أو: شاعر، أو: كاهن، فزكَّاه في سمعه وبصره وفؤاده، وزكَّاه جملة فقال: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (القلم: ٤).

وقد نادَى ربنا سبحانه أنبياءه ورسوله كلًّا باسمه صراحة، ولم ينادِ رسولنا إلا بصفة النبوة أو الرسالة، فقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » (الأحزاب: ٤٥)، وحتى عندما ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم ذكره مرتبطًا بصفته: « مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ » (الفتح: ٢٩)، وقال: « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ » (آل عمران: ١٤٤).

ومن إكرام الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ورفع ذكْره: أنه سبحانه حرَّم زوجاته من بعده أن يتزوجن أحد، فما كان لامرأة وطئها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها رجل من بعده، فقال تعالى: «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا » (الأحزاب: ٥٣).

- وقد أمر الله المؤمنين بأمرٍ بدأ فيه بنفسه؛ فقال تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا » (الأحزاب: ٥٦).

وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّ «مَن صلى عليه صلاة صلى الله عليه بها عشراَ»؛ كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

وإلى جانب ما سبق، فإن الله خصَّ رسوله محمدًا بالشفاعة العظمى يوم القيامة، وأنه عليه الصلاة والسلام أول مَن تنشق عنه الأرض، وأول من يطرق باب الجنة، وأنه عليه الصلاة والسلام صاحب الحوض .

ثم يأتي بعد ذلك من يزعم أنه يرفع ذِكْر النبي عليه الصلاة والسلام ويحبُّه بأمور مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وليس لها حظ من قرآن أو سنة، وهؤلاء ليسوا أحرص ولا أحب للرسول صلى الله عليه وسلم من صحابته الكرام رضوان الله عليهم الذين كانوا يحبونهم أكثر من حبهم لأنفسهم، وكانوا يفدونه بآبائهم وأمهاتهم، وكانوا أحرص على اتباع هديه وسنته، فالحب الحقيقي للرسول صلى الله عليه وسلم يكمن في طاعته وتوقيره واتباع هديه وسنته، فالله سبحانه أوجب على المؤمنين طاعته ومحبته وحذرهم من عصيانه ومخالفته، فقال تعالى: « فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (النور: ٦٣).

وقال تعالى: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ » (آل عمران: ٣١).

رزقنا الله وإياكم محبة رسوله وطاعته واتباع سنته، اللهم آمين.

حال النبي صلى الله عليه وسلم في بيته

إعداد: الشيخ صلاح عبد الخالق

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده، وبعد.

يقول الله تعالى: « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » (الأحزاب: ٢١). من هذه الأمثلة العملية في بيته صلى الله عليه وسلم مثلاً وبيان ذلك في نقاط:

(١) النبي صلى الله عليه وسلم ينشر السلام والطمأنينة في البيت:

(أ) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ الله عِنْدَ دُخُولِه وَعِنْدَ طَعَامِه، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُر اسْمَ الله عِنْدَ طَعَامِه، وَإِنْ لَمْ يَذْكُر اسْمَ الله عِنْدَ دُخُولِه قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ" (صحيح مسلم ٢٠١٨).

- في الحديث: حثّ على أن الإنسان ينبغي له إذا دخل بيته أن يذكر اسم الله، والذكر الوارد في ذلك بسم الله، ثم يسلم على أهله، وبذلك يحترز من الشيطان الرجيم مبيتاً وعشاءً. (شرح رياض الصالحين لابن عثيمين: ٤/١٩١).

(ب) قال تعالى: « فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً » (النور: ٦١).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى الله، إِنْ عَاشَ رُزِقَ وَكُفِيَ، وَإِنْ مَاتَ أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ: مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ فَسَلَّمَ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى الله، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى الله، وَمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِ الله فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى الله» (صحيح ابن حبان ٤٩٩، صحيح

التَّرغيب ٣٢١).

ومعنى ضَامنٌ عَلى اللَّه: أي في حفظه وأمنه، وقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ دَخلَ بَيْتَه فَسلَّمَ"؛ نشر السلام في البيت ينشر المحبة والطمأنينة والسعادة وطرد الشيطان.

(٢) النبي صلى الله عليه وسلم يحث على احترام النساء:

قال تعالى: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» (النساء: ١٩)؛ أيْ: طيِّبُوا أقْوالَكُمْ لَهُنَّ، وحسِّنُوا أفْعالَكُمْ وهَيْئاتكُمْ بِحَسَبِ قُدْرَتكُمْ، كَمَا تُحبُّ ذَلكَ منْهَا، فَافْعَلْ أَنْتَ بِهَا مثْلَهُ. (تفسير ابن كثير ٢/٢٤٢).

وعَنْ عَائشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهْله وأنَا خَيْرُكُمْ لأهْلي" سنن الترمذي (٣٨٩٥) صحيح الجامع (٣٣١٤).

وعَنْ حَكيم بْن مُعَاوِيَةَ، عَنْ أبيه، أنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم مَا حَقُّ الْمَرْأة عَلى الزَّوْج؟ قَالَ: «أنْ يُطْعمَهَا إذَا طَعمَ، وأنْ يَكْسُوهَا إذَا اكْتَسَى، ولا يَضْرب الْوَجْهَ، ولا يُقَبِّحْ، ولا يَهْجُرْ إلاَّ في الْبَيْت» سنن ابن ماجه (١٨٥٠)، صحيح الجامع (٣١٤٩)

(٣) النبي صلى الله عليه وسلم في خدمة أهله:

سُئلت أم المؤمنين عائشة مَا كَانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَصْنَعُ في بَيْته؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ في مهْنَة أهْله، فَإذَا حَضَرَت الصَّلاةُ خَرَجَ إلى الصَّلاة» (صحيح البخاري ٦٧٦)؛ أيْ: منْ عَادَته (يَكُونُ) أيْ: يَسْتَمرُّ مُشْتَغلاً (في مهْنَة أهْله) أيْ: مَصَالح عيَاله، والْمَهْنَةُ الْخدْمَةُ (فَإذَا حَضَرَت الصَّلاةُ خَرَجَ إلى الصَّلاة) أيْ: وتَرَكَ جَميعَ عَمَله وكَأنَّهُ لَمْ يَعْرفْ أحَدًا منْ أهْله. (مرقاة المفاتيح: ٩/٣٧١٥).

من أنواع هذه الخدمة مثلاً: عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: قُلْتُ لعَائشَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمنينَ، أيُّ شَيْءٍ كَانَ يَصْنَعُ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم إذَا كَانَ عنْدَك؟ قَالَتْ: «مَا يَفْعَلُ أحَدُكُمْ في مهْنَة أهْله، يَخْصفُ نَعْلَهُ، ويَخيطُ ثَوْبَهُ، ويَرْقَعُ دَلْوَهُ» صحيح ابن حبان (٥٦٧٦) صحيح الأدب المفرد.

هذه الأعمال لا تنقص من قدر الرجولة شيئًا بل هي الرجولة بعينها، كما فعل ذلك سيد الرجال صلى الله عليه وسلم.

(٤) النبي صلى الله عليه وسلم يضحك ويمزح في بيته:

عَنْ عَائشَةَ، قَالَتْ: خَرَجْتُ مَعَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في بَعْض أسْفَاره وأنَا جَاريَةٌ لَمْ أحْمل اللَّحْمَ ولَمْ أبْدُنْ، فَقَالَ للنَّاس: "تَقَدَّمُوا" فَتَقَدَّمُوا. ثُمَّ قَالَ لي: "تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابقَك"، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنّي، حَتَّى إذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وبَدُنْتُ ونَسيتُ. وخَرَجْتُ مَعَهُ في بَعْض أسْفَاره فَقَالَ للنَّاس: "تَقَدَّمُوا "فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابقَك فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَني، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وهُوَ يَقُولُ: "هَذه بتلْكَ" مسند أحمد (٢٦٢٧٧) وصحيح الجامع (٧٠٠٧).

(٥) النبي صلى الله عليه وسلم يشاور نساءه:

قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية لأَصْحَابه: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلقُوا»، قَالَ: فَوَاللَّه مَا قَامَ منْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلكَ ثَلاثَ مَرَّات، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ منْهُمْ أحَدٌ دَخَلَ عَلى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقيَ منَ النَّاس، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبيَّ اللَّه، أتُحبُّ ذَلكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أحَدًا منْهُمْ كَلمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وتَدْعُوَ حَالقَكَ فَيَحْلقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أحَدًا منْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، ودَعَا حَالقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأوْا ذَلكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا. (صحيح البخاري: ٢٧٣١).

(٦) النبي صلى الله عليه وسلم نعم الأب:

عَنْ عَائشَةَ، قَالَتْ: كُنَّ أزْوَاجُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم عنْدَهُ، لَمْ يُغَادرْ منْهُنَّ واحدَةً، فَأقْبَلَتْ فَاطمَةُ تَمْشي، مَا تُخْطئُ مشْيَتُهَا منْ مشْيَة رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بهَا،

فقال: «مَرْحبًا بابْنَتي» ثُمَّ أجْلسَها عنْ يمينه أوْ عنْ شماله. (صحيح مسلم ٢٤٥٠).

(فلما رآها رحب بها) فقال: «مَرْحبًا بابْنَتي» فيه وصف حال النبي صلى الله عليه وسلم في بيته مع ابنته وكيف قابلها حين جاءت تزوره صلى الله عليه وسلم. قالت: (ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله)، كان النبي صلى الله عليه وسلم من عادته إذا جاءت ابنته أنه يقوم لها ويقبلها صلى الله عليه وسلم ويجلسها بجواره، وإذا ذهب هو إليها قامت إليه وقبلته وأجلسته صلى الله عليه وسلم. (شرح رياض الصالحين).

(٧) النبي صلى الله عليه وسلم نعم الجد:

أما خطر ببالك وأنت تجلس في بيتك أن تداعب صغارك وتمازح أبناءك وتسمع ضحكاتهم وجميل عباراتهم؟ فقد كان نبي الله يفعل ذلك كله، ومن ذلك:

(أ) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يُدْلِعُ لسَانَهُ للْحُسَيْن، فَيَرَى الصَّبيُّ حُمْرَةَ لسَانه، فَيَهَشُّ إلَيْه» صحيح ابن حبان (٥٥٩٦) السلسلة الصحيحة (٧٠).

(ادلع) اللّسان خرج واسترخى. (المعجم الوسيط ٢٩٣/١).

هَشَّ: انشرح صدره فرحًا وسرورًا به، تبسَّم وارتاح له. (معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٣٥١/٣).

(ب) عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم الحَسَنَ بْنَ عَليٍّ وَعنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابسٍ التَّميميُّ جَالسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إنَّ لي عَشَرَةً منَ الوَلَد مَا قَبَّلْتُ منْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إلَيْه رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ» صحيح البخاري (٥٩٩٧).

(٨) النبي صلى الله عليه وسلم نعم المربي والمعلم: قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ» (التحريم: ٦).

عَنْ عَبْد اللَّه بْن عُمَرَ رَضيَ اللَّه عَنْهُمَا، أَنَّهُ: سَمعَ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعيَّته، فَالإمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعيَّته، وَالرَّجُلُ في أَهْله رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعيَّته، وَالمَرْأَةُ في بَيْت زَوْجهَا رَاعيَةٌ، وَهيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعيَّتهَا، وَالخَادمُ في مَال سَيِّده رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعيَّته وَالرَّجُلُ في مَال أَبيه رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعيَّته، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعيَّته» صَحيح البخاري (٢٥٥٨) وصحيح مسلم (١٨٢٩).

فإياك والتخلي عن دورك التربوي في بيتك؛ حتى لا تشقى في الدنيا والآخرة.

ومن أمثلة التوجيهات التربوية:

(أ) قال تعالى: «وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ③ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ» (التحريم: ٣- ٤).

«وَإذْ أَسَرَّ النبي إلى بَعْض أَزْوَاجه حَديثاً»؛ أي: واذكر حين أسرَّ النبي صلى الله عليه وسلم إلى زوجته حفصة خبراً، واستكتمها، «فَلَمَّا نَبَّأَتْ به»، أي: فلما أخبرت بذلك السرَّ عائشة وأفشته لها «وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْه»، أي: وأطلع الله نبيه بواسطة جبريل الأمين على إفشائها للسرّ؛ «عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ»؛ أي: أعلمها وأخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الحديث الذي أفشته معاتباً لها، «فَلَمَّا نَبَّأَهَا به قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هذا قَالَ نَبَّأَني العليم الخبير»؛ أي فقال صلى الله عليه وسلم: أخبرني بذلك ربُّ العزة، «إن تَتُوبَا إلَى اللَّه»؛ أي: إن تبتما كان خيراً لكما. (صفوة التفاسير ٣٨٥/٣).

نسأل الله أن يصلح بيوتنا وأحوالنا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فرض عين

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد، فإن آية الإيمان، وبرهان صدق الإسلام، محبة الرسول الأعظم سيد الأنام، سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

إعداد/ الشيخ عبده أحمد الأقرع
فرع اختاواي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». (متفق عليه).

ولما قال فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله: لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال له عمر رضي الله عنه: فإنه الآن والله لأنت أحب إليَّ من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر». (صحيح البخاري ٦٦٣٢).

من أراد أن يتذوق حلاوة الإيمان فعليه بمحبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان». وذكر صلى الله عليه وسلم: «أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما». (متفق عليه).

وحذَّر ربنا-سبحانه وتعالى- الذين يحبَون الآباء والأبناء والإخوة والأزواج والعشيرة، والأموال والتجارة أكثر من حبهم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: «قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ» (التوبة: ٢٤).

وأوجب الله تعالى على كل مَن حكم عليه بحكم النبي صلى الله عليه وسلم، أن لا يكون في حرج أو ضيق بل يُسلِّم لحكمه ويرضى؛ فقال سبحانه: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا» (النساء: ٦٥).

وحذَّر سبحانه من مخالفة أمر الرسول صلى

الله عليه وسلم؛ فقال سبحانه: « فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (النور: ٦٣)، وقال سبحانه: « وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا » (النساء: ١١٥).

وأخبر سبحانه وتعالى أن أهل النار-إذا دخلوها- يتمنون أنهم أطاعوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: « يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ » (الأحزاب: ٦٦).

وقال تعالى: « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا » (النساء: ٤١-٤٢).

وفي المقابل جعل الله تعالى في طاعة نبيه صلى الله عليه وسلم السعادة في الدارين؛ فقال سبحانه: « وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (الأعراف: ١٥٨)، وقال تعالى: « وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ » (الأعراف: ١٥٦-١٥٧).

وقال تعالى: « فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » (الأعراف: ١٥٧)، وجعل الله تعالى أمارة حبه اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ فقال سبحانه: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » (آل عمران: ٣١).

قال الحسن البصري وغيره: (زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم-أي امتحنهم- بهذه الآية: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ». وكيف لا؟ وهو صلى الله عليه وسلم منة الله على العالمين؛ قال الله تعالى: « لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ » (آلعمران: ١٦٤).

وهو الرحمة المهداة؛ قال الله تعالى: « وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ » (الأنبياء: ١٠٧)، وهو صلى الله عليه وسلم الذي آثر أُمَته بدعوته؛ قال صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبي دعوته، واني اختبأت دعوتي شفاعة لأُمتي يوم القيامة، فهي نائلةٌ، إن شاء الله، مَن مات من أمتي لا يُشرك بالله شيئًا». (صحيح مسلم: ١٨٩/١).

إذن فمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ونؤمن إيمانًا راسخًا أن الدعوة التي نزل بها القرآن الكريم، وأُرسِل من أجلها الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن مجرد كلمات تُرقِّق بها القلوب وتُخدِّر النفوس، وإنما هي باعث حضارة متكاملة، تُؤدَّى فيها الواجبات، وتُصان جميع الحقوق دون تهاون أو تقصير.

غير أن الناس تختلف في هذه المحبة؛ فمن الناس من يرى المحبة في الانتساب والشكل والصورة، ومن الناس من يرى المحبة في همهمات يُهمهم بها وترتيلات وأناشيد ينشدها، وصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم يُحصي عددها، والعاقل الحصيف مَن يتَّجه في كل مذهب يتَّجه إليه، وفي كل مسلك يسير فيه يتجه نحو المَعين الصافي يشرب منه فيرتوي، ويقصد مصدر النور ليقتبس من إشعاعه فيهتدي.

وما المعين الصافي والنور الوضاء، غير كتاب الله وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم، اللَّذين قال عنهما رسول الهدى صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما، كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يَردا على الحوض». (صحيح الجامع ٢٩٣٧).

فمعيار محبته صلى الله عليه وسلم: أن يجعل المسلم هواه تبعًا لما جاء به صلوات الله وسلامه عليه، ولو كان ذلك مصادمة لشهواته، أو مصادرة لعادات قومه، فمجرد الادعاءات لمحبته صلى الله عليه وسلم، لا تكفي لإعطاء الصورة الصحيحة لمحبة رسول الهدى صلى الله عليه وسلم حتى يُضاف إليه العمل والاتباع لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم دون أن يكون في النفس من ذلك شيء، ودون أن يأخذ المسلم ببعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويطيعه فيه، ويترك البعض الآخر إن كان على غير مزاجه، أو مخالفًا لما درج عليه أهل زمانه؛ فقد قال الله تعالى: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ» (الحشر: ٧)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلَ أُمَتي يدخلون الجنة إلا مَن أبَى» قالوا يا رسول الله، ومَن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». (صحيح البخاري ٧٢٨٠).

وفي ذلك أوضح الأدلة على أن من طرح أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهره فقد عصاه، ومن عصاه عرَّض نفسه للحرمان من نزول دار الرضا والرضوان.

فاتباع النبي صلى الله عليه وسلم واقتفاء أثره والتمسك بسُنته هو شاهد صدق على محبته، وكلما عظم الحب زاد الاتباع، وكلما نقص الحب نقص الاتباع.

فكل من يرجو الله واليوم الآخر، يجعل الرسول- عليه الصلاة والسلام- قدوته، وأُسوته، كما قال الله-جل جلاله-: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب: ٢١)، وأهل الإيمان الحق يستمدَون من الهدي النبوي كل أمورهم، فلا تستوي الأمور، وتستقيم السبل إلا بذلك، فبهديه -عليه الصلاة والسلام- يهتدون، وعلى ضوء سنته يسيرون، قال الله تعالى: «وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (الأعراف: ١٥٨)، وقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومن سار على دربهم من التابعين أروع الأمثلة في محبة النبي الأمين صلوات الله وسلامه عليه والتأسي به، فعملوا بسُنته، ودعوا إليها، وذَبُّوا عنها، فكان هذا برهانًا ساطعًا على حبهم لله عز وجل.

فهذا صِدِّيق الأُمَة أبو بكر رضي الله عنه يقول: "لست تاركًا شيئًا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، وإني لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ" (رواه البخاري ح(٣٠٩٣)).

وعلَق ابن بطة على هذا بقوله: "هذا-يا إخواني- الصِّديق الأكبر يتخوف على نفسه الزيغ إن هو خالف شيئًا من أمر نبيه صلى الله عليه وسلم. فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزءون بنبيهم وبأوامره، ويتباهون بمخالفته، ويسخرون من سنته، نسأل الله عصمة من الذلل، ونجاة من سوء العمل" (الإبانة ١/٢٤٦).

وهذا فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد أن يُقبِّل الحجر الأسود قال: "والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبَلك ما قبَّلتك" (متفق عليه). توحيدٌ واتباع لسيد الأنام.

وهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن يقول عنه مجاهد "كنا مع ابن عمر رضي الله عنهما فمر بمكان فحاد عنه"، يعني: تنحَّى عنه، وأخذ يمينًا أو شمالاً. "فسُئِلَ: لمَ فعلت؟ فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسَلم فعل هذا ففعلت"(صحيح الترغيب: ٤٦).

اللهم ارزقنا حبك وحُبَ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأعنا على التأسي به قولاً وعملاً؛ إنك ولي ذلك والقادر عليه.

غزوة أُحُد

إعداد **د. سيد عبد العال**
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فموضوعنا في هذا العدد هو غزوة أُحُد، وما أدراك ما غزوة أُحُد؟! إنها الغزوة التي تجلى فيها النصر في صورة عجيبة: نصر النص الشرعي، والتوجيه النبوي؛ جاء هذا النصر في صورة هزيمة وقعت لأصحابه؛ لأنهم خالفوه، وعصوا أمره، نعم في "أُحُد" مصيبة، وما أبقى درس المصيبة!!

إن درس النصر قد تُنسيه الفرحة الغامرة، أما المصيبة فتهيئ للنفس فرصة تسترجع فيها ذكرى الأخطاء، فلا يبرح هذا الطيف حتى يترك فيها حزًّا غائرًا، وكلّما لا يقبل تكرار الخطأ.

وفي قصة أحد تربية لا بد منها لصنع قادة، يحملون أكبر علْم للنور والهدى والعرفان، يحولون به تيار الفساد إلى سلسل من طهر ونقاء.

وفي قصة "أُحُد" لفتة من لفتات القدر، تعلم المسلم ناموس الحياة، وتقضى على ما يمكن أن يصيبه من زهو وغرور بحقائق الواقع.

في قصة أحد عبرة أفاد المسلمون منها في تاريخهم الأغر، فكان لنكبة "أُحُد" أثر في نصر "الخندق"، وكان لها الفضل في مواقف النضال مع أعتى قوتين في دنيا الناس يومذاك.

وما أمسّ حاجتنا اليوم، لنفحص نكبة الأمس، حتى ننهض من نكبة اليوم!

وهذا ما نحاول المساس به أثناء دراسة هذه الغزوة في مجلتنا الغراء.

أولًا: تاريخ الغزوة:

حَدَثَتْ يَوْم السَّبْت للنِّصْف مِنْ شَوَّال مِنَ السَّنَة الثَّالثَة باتِّفَاق الْجُمْهُور، وما سوى ذلك من الأقوال شاذّ. (فتح الباري: ٣٤٦/٧).

ثانيا: سبب الغزوة:

لمّا رجعتْ قريش منْ بدر إلى مكة، وقدْ أُصيبُوا بمُصيبة لمْ يُصابُوا بمثلها، منْ قتل صناديدهمْ وأشرافهمْ، ورجع أبو سُفيان بعيره(أي تجارته)؛ اتفقوا على أنْ يقومُوا بحرْب شاملة ضد المُسلمين، تشفي غيْظها، وتروي غلّة حقدها، وأخذتْ في الاستعداد؛ لخوض مثل هذه المعْركة العظيمة؛ وكان عكرمةُ بنُ أبي جهل، وصفوانُ بنُ أمية، وأبو سُفيان بنُ حرْب، وعبْدُ الله بنُ أبي ربيعة أكْثر زُعماء قريْش نشاطًا، وتحمُّسًا؛ لخوْض هذه المعْركة.

وأوّلُ ما فعلوهُ بهذا الصّدد أنّهمْ احتجزُوا العير التي كان قدْ نجا بها أبُو سُفيان، والتي كانتْ سببًا لمعركة بدْر لتكون عوْنًا لهمْ على حرْب المُسلمين، وكانتْ ألفَ بعير، والمالُ خمْسُون ألفَ دينار.

قال ابْنُ إسْحاقٍ: ففيهمْ فيما ذكر لي بعْض أهل العلْم أنْزل اللهُ تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ» (الأنفال: ٣٦). (سيرة ابن إسحاق: ص٣٢٢).

وهذا قولُ ابْن عبّاس، وهكذا رُوي عنْ مُجاهد، وسعيد بْن جُبيْر، وقال الضّحّاكُ: نزلتْ في أهْل بدْر.

فائدة مهمة: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب": قال ابن كثير: "وعلى كلّ تقْدير، فهي عامّةٌ. وإنْ كان سببُ نُزولها خاصًّا، فقدْ أخْبر تعالى أنّ الكُفّار يُنْفقُون أموالهُمْ ليصُدُّوا عن اتباع طريق الحقّ، فسيفْعلُون ذلك، ثُمّ تذْهبُ أمْوالهُمْ، «ثُمّ تكُونُ عليْهمْ حسْرةً» أيْ: ندامةً؛ حيْثُ لمْ تُجْد شيْئًا؛ لأنّهُمْ أرادُوا إطْفاء نُور الله وظُهور كلمتهمْ على كلمة الْحقّ، واللهُ مُتمُّ نُوره ولوْ كره الْكافرُون، وناصرُ دينه، ومُظْهرُ دينهُ على كُلّ دين. فهذا الْخزْيُ لهُمْ في الدُّنْيا، ولهُمْ في الآخرة عذابُ النّار، فمنْ عاش منْهُمْ، رأى بعيْنه وسمع بأذُنه ما يسُوءُهُ، ومنْ قُتل منْهُمْ أوْ مات، فإلى الخزْي الأبدي والْعذاب السّرْمديّ" (تفسير ابن كثير: ٤/٥٣).

ثالثا: قوام جيش المشركين وعددهم، وتصوير حالهم:

قامتْ قُريْش تجْمعُ الجُمُوع منْ حُلفائها؛ فتجمّع لقُريْش ثلاثةُ آلاف مُقاتل، فيهمْ سبْعمائة دارع، وكان معهُمْ مائتا فرس، وثلاثة آلاف بعير.

وقد بدا لهم رأي يدل على استماتة المشركين في الحرب؛ ألا وهو أن قادة قُريْش رأوا أنْ يسْتصْحبُوا معهُمُ النّساء، حتّى يكُون ذلك أبلغ في اسْتماتة الرّجال، وحتّى لا يفرُّوا، فخرج أبُو سُفيان بزوْجته هنْد بنْت عُتْبة بن ربيعة... وقد بلغ عدد النساء اللاتي خرجْن خمْس عشْرة امْرأة، معهُنّ الدُّفُوف، والخُمور؛ فكُنّ يبْكين قتلى بدْر، ويُحرّضْن الرّجال على القتال، وعدم الهزيمة والفرار.

وكانت القيادةُ العامّةُ إلى أبي سُفْيان بن حرْب، وقيادةُ الفُرْسان إلى خالد بن الوليد، يُعاونُهُ عكْرمةُ بْنُ أبي جهْل، أمّا اللّواءُ؛ فكان إلى بني عبْد الدّار، فأقْبلُوا حتّى نزلُوا بعيْنيْن؛ جبل ببطْن السّبْخة منْ قناة على شفير الوادي مُقابل المدينة. يوم الأربعاء؛ فأقاموا بها ذلك اليوم، ويوم الخميس، ويوم الجمعة. (اللؤلؤ المكنون ٢/٥٦٦، وسيرة ابن اسحاق ص٣٢٤).

رابعا: رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم واستشارة الصحابة رضي الله عنهم:

وبعْد أنْ تأكّد للرّسُول خبرُ قُريْش، ووُصُولهُمْ إلى المدينة، عقد اجْتماعًا اسْتشاريًّا مع الصّحابة، وأخْبرهُمْ برُؤْياهُ التي رآها...

أما الرؤيا؛ ففيها أحاديث: منها حديث أبي مُوسى عن النّبيّ صلى اللهُ عليْه وسلّم، قال: "رأيْتُ في المنام أنّي هززْتُ سيْفًا، فانْقطع صدْرُهُ فإذا هُو ما أُصيب من المُؤْمنين يوْم أُحُد، ثُمّ هززْتُهُ بأُخْرى؛ فعاد أحْسن ما كان؛ فإذا هُو ما جاء اللهُ به من الفتْح، واجْتماع المُؤْمنين ورأيْتُ فيها بقرًا؛ -واللهُ خيْرٌ- فإذا هُمُ المُؤْمنُون يوْم أُحُد. (صحيح البخاري: ح٣٦٢٢).

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "رأيْتُ في سيْفي ذي الفقار فلًّا، فأوّلْتُهُ: فلًّا

يكُونُ فيكُمْ، ورَأيْتُ أنّي في درْعٍ حصينَةٍ، فأوَّلْتُها: المْدينَة، ورَأيْتُ بقَرًا تُذْبحُ، فبقَرٌ واللّه خيْرٌ، فبقَرٌ واللّه خيْرٌ"؛ فكانَ الّذي قال رَسُولُ اللّه صلّى اللّه عليْه وسلّم. (مسند أحمد: ح٢٤٤٥).

وفي رواية: قال: "فأمّا البقَرُ، فهي ناسٌ منْ أصْحابي يُقْتَلُونَ، وأمّا الثّلْمُ الّذي رَأيْتُ في ذُباب سيْفي، فهُو رَجُلٌ منْ أهْل بيْتي يُقْتلُ، وأوّلْتُ الدّرْعَ الحصينَةَ المدينَةَ" (دلائل النبوة للبيهقي: ٢٠٧/٣، واسناده حسن).

قوْلُهُ: "واللّه خيْرٌ" هذا منْ جُمْلة الرُّؤْيا وهو كذا بالرّفْع فيهما على أنّهُ مُبْتدأٌ وخبرٌ، وفيه حذْفٌ تقْديرُهُ وصُنْعُ اللّه خيْرٌ... وقوْلُهُ-في التأويل- "بقْرٌ" هُو بسُكُون القاف وهُو شقُّ البطْن. (فتح الباري: ٣٧٧/٧). وانظر: (فتح الباري ٣٤٦/٧).

وأما الاستشارة؛ فكان موضوعها: هل يخرجون من المدينة: لقتالهم، أو يبقون فيها؛ فإن دخلوا عليهم قتلوهم فيها، وكان رأي النبي صلى الله عليه أول الأمر البقاء في المدينة، ثم لبس لأمة الحرب بعد المشورة لأصحابه؛ ولما سبق في قدر الله تعالى... قال ابن كثير: "وأبى كثيرٌ من النّاس إلاّ الْخُرُوج إلى العدُوّ، ولمْ يتناهوْا إلى قوْل رسُول اللّه صلّى اللّه عليْه وسلّم ورأيه، ولوْ رضُوا بالّذي أمرهُمْ كان ذلك، ولكنْ غلبَ القضاءُ والقدرُ".

ووافقه عليه الأكابرُ منَ المهاجرين والأنْصار، ووافقهُمْ عليْه عبْدُ اللّه بنُ أُبيّ ابن سلُول المُنافق، ويبدُو أنَّ مُوافقةَ ابن سلُول لهذا الرأْي لمْ تكُنْ لأجل أنّ هذا هُو الموْقفُ الصّحيحُ منْ حيْثُ الوجْهة العسْكريّة، بلْ ليتمكّنَ منَ التّباعُد عن القتال دُون أنْ يعْلمَ بذلك أحدٌ، وشاء الله أن يفتضح هو وأصحابه-لأول مرة- أمام المسلمين.

ترك النبي صلى الله عليه وسلم رأيه ورجوعه إلى رأي الصحابة:

ولا شك أن المشورة والرجوع بوحي من الله إما ابتداء وإما إقرارًا وتأييدًا، واليكم الخبر؛ فعن جابر بْن عَبْد اللّه رضي اللّه عنهما قال: اسْتشار رسُول اللّه صلّى اللّه عليْه وسلّم النّاس يوْمَ أُحُد فقال: "إنّي رأيْتُ فيما يرى النّائمُ كأنّي لفي درْعٍ حصينةٍ، وكأنّ بقرًا تُنْحرُ، وتُباعُ؛ ففسّرْتُ الدّرْعَ المدينةَ، والْبقرَ نفرًا واللّه خيْرٌ-أي واللّه عنده خير وأبقى-؛ فلوْ قاتلْتُمُوهُمْ في السّكك؛ فرماهُمُ النّساءُ منْ فوْق الحيطان؟ فقالوا: يا رسُول اللّه، واللّه ما دُخل عليْنا فيها في الجاهليّة، فكيْف يُدْخلُ عليْنا فيها في الإسْلام؟ ولكنْ نخْرُجُ إليْهمْ قال: "فشأْنُكُمْ إذًا" قال: ثُمّ ندمُوا؛ فقالُوا: رددْنا على رسُول اللّه صلّى اللّه عليْه وسلّم رأْيهُ؛ فأتوا النّبيَّ صلّى اللّه عليْه وسلّمَ: فقالُوا: يا رسُول اللّه، رأْيك فقال: ما كان لنبيٍّ أنْ يلْبس لأْمتهُ-بسُكُون الْهمْزة؛ أي: الدّرْعُ- ثُمّ يضعُها حتّى يُقاتل. (أخرجه أحمد ح٤٧٨٧، والسنن الكبرى للنسائي ح٧٦٠٠، قال ابن حجر: وسندُهُ صحيحٌ).

ورواه ابن عبّاس رضي اللّه عنهما، بنحو حديث جابر وفيه: "فقال لهُ ناسٌ لمْ يكُونُوا شهدُوا بدْرًا اخْرُجْ بنا يا رسُول اللّه إليْهمْ نُقاتلهُمْ بأُحُد، ونرْجُو أنْ نُصيبَ من الفضيلة ما أصاب أهْلُ بدْرٍ..." الحديث)المستدرك ٢٦٢٤، وصححه ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر: وهذا سندٌ حسنٌ. (الفتح: ١١٢/٩).

وفيه من الفوائد: مشورة القائد لأصحابه، وأن المستشير لا يجب عليه أن يأخذ برأي المستشار، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا عزم؛ فقد انتهى، ولا مشورة بعدُ؛ قال البخاري: بابُ قوْل اللّه تعالى: «وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ » (الشورى: ٣٨)، «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ » (آل عمران: ١٥٩)، وأنّ المُشاورة قبْل العزْم والتّبيُّن لقوْله: «فإذا عزمْت فتوكّلْ على اللّه» (آل عمران: ١٥٩)؛ فإذا عزم الرّسُولُ صلّى اللّه عليْه وسلّم لمْ يكُنْ لبشرٍ التّقدُّمُ على اللّه ورسُوله... ثم ذكر هذا الحديث. (صحيح البخاري: ١١٢/٩).

وللحديث صله إن شاء الله تعالى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

١٢٠٠ جنيه

سعر الكرتونة بدلاً من

~~١٥٠٠~~ جنيه

لفترة محدودة

يوجد مجلدات السنوات القديمة

سعر المجلد ٢٥ جنيه

بدلاً من ٥٠ جنيه

حتى عام ١٤٣٩ هـ

التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
١٤٤٣
لعام ١٤٤٣ هـ

سعر المجلد الجديد

١٠٠ جنيه

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ مشترٍ

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

☎ واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

علم نافع لايستغني عنها البيت المسلم»

التوحيد

وقفات شرعية مع أحداث الثورة المصرية
الفتنة المقنعة
يا دعاة الأمة الزموا السنة على منهاج النبوة

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

☎ للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢